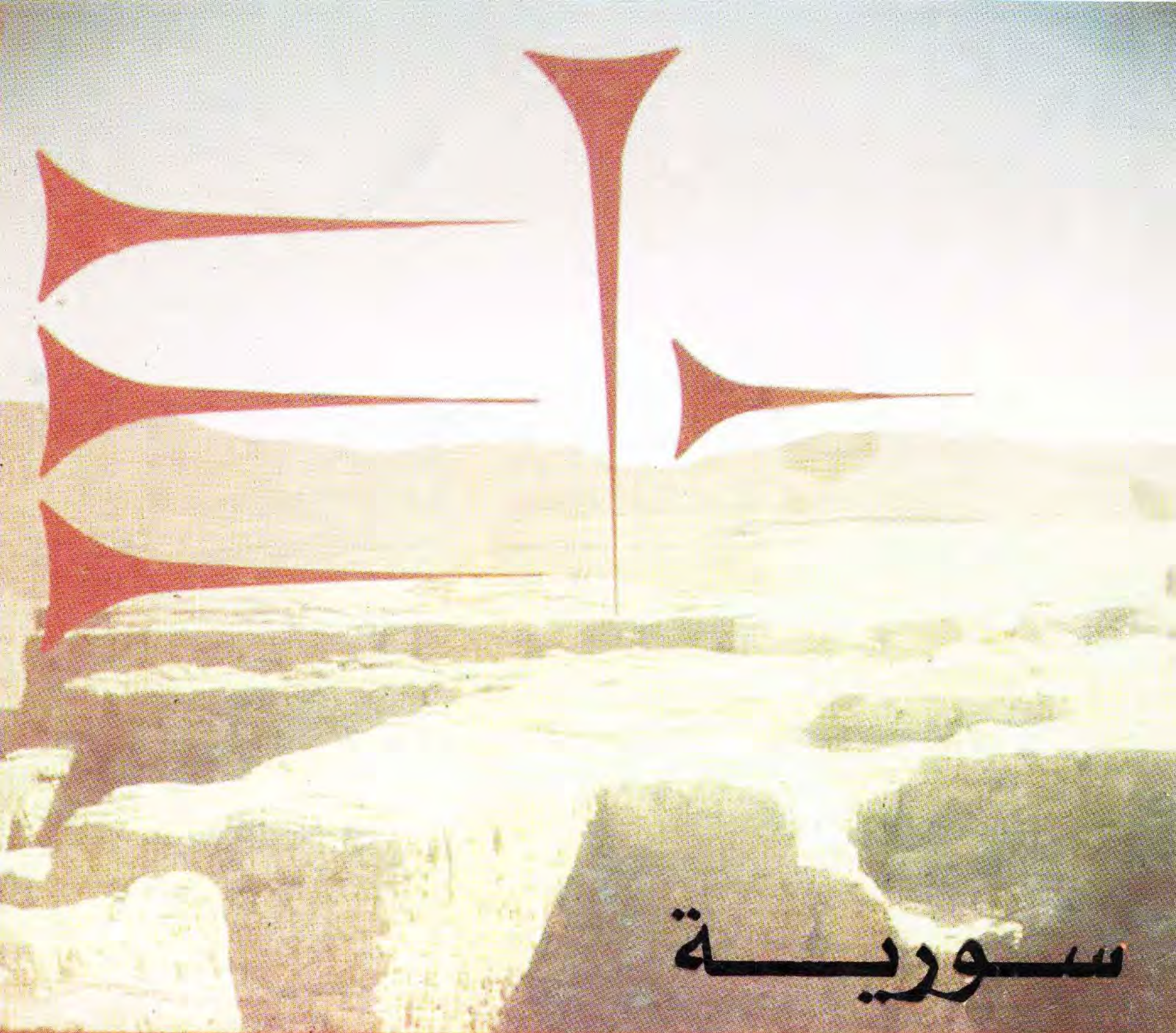
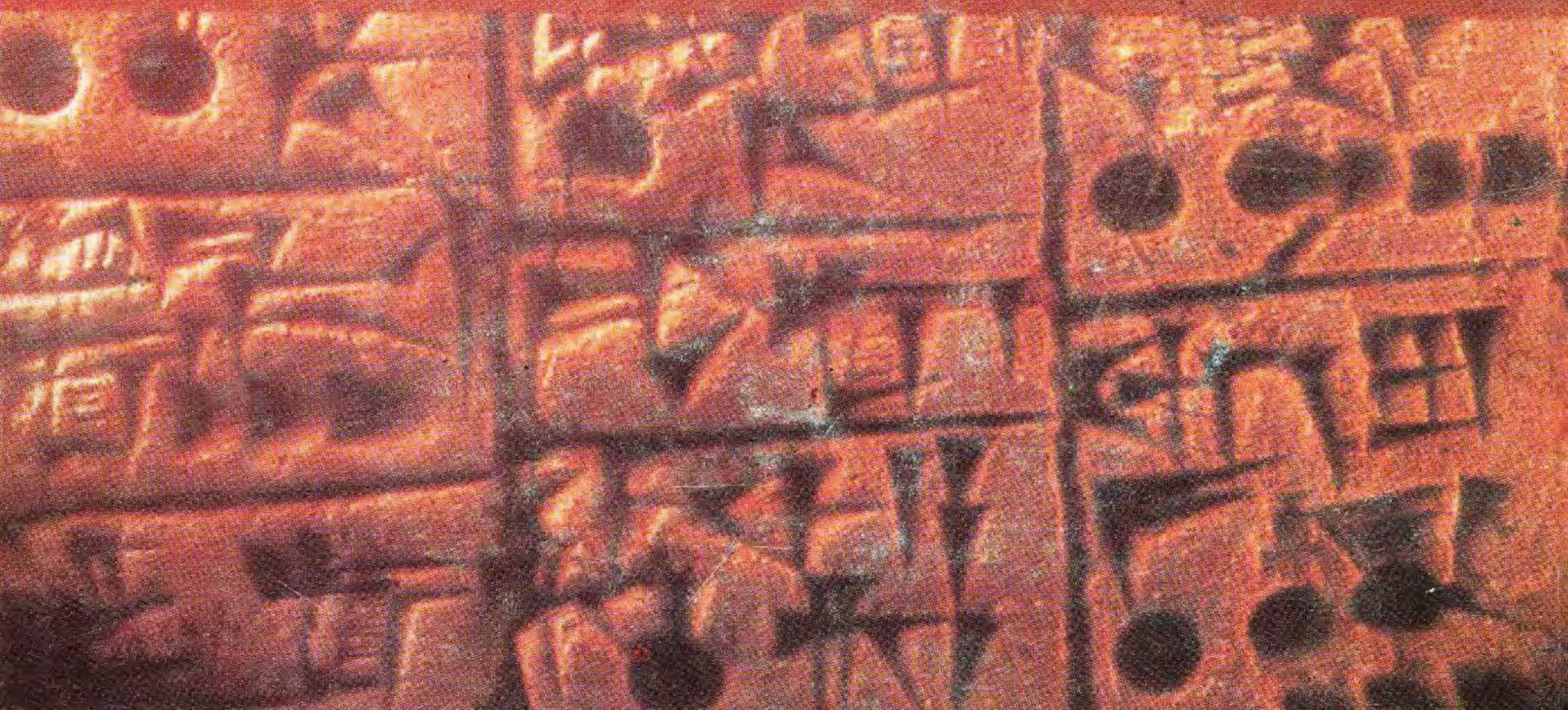




سورية

وأصل الكتابة



منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET

سورية

وأصل الكتابة

دار بريپولس

سورية

وأصل الكتابة

معرض نظم برعاية

جلالة الملك البير الثاني
ملك بلجيكا

السيد الرئيس حافظ الأسد
رئيس الجمهورية العربية السورية

لجنة الشرف

السيد جان - لوك ديهابين رئيس مجلس الوزراء في الحكومة الفيدرالية	السيد المهندس محمود الزعبي رئيس مجلس الوزراء في الجمهورية العربية السورية
السيد فيليب مايشات نائب رئيس مجلس الوزراء وزير المالية في الحكومة الفيدرالية	الدكتورة نجاح العطار وزيرة الثقافة في الجمهورية العربية السورية
السيد لوك فان دن براند وزير ورئيس الحكومة الفلمنكية	السيد ناصر قدور وزير الدولة للشؤون الخارجية في الجمهورية العربية السورية
السيد شارل بيكي وزير ورئيس منطقة بروكسل العاصمة وزير الثقافة للمجموعة الناطقة بالفرنسية في بلجيكا	السيد صبحي حرب محافظ الحسكة
السيد جوزيف ماريت وزير ورئيس المجموعة الناطقة بالألمانية في بلجيكا	الأستاذ الدكتور سلطان محيسن المدير العام للآثار والمتاحف
السيدة لوريت أونكلينكس وزيرة ورئيسة المجموعة الناطقة بالفرنسية في بلجيكا	الدكتور هاني حبيب القائم بالأعمال للجمهورية العربية السورية في بلجيكا
السيد لوك مايرتينس وزير الثقافة في الحكومة الفلمنكية	
السيد فيليب جوتارد السفير البلجيكي في الجمهورية العربية السورية	
الأستاذ الدكتور جان - لوي فنهيرفيغيم عميد جامعة بروكسل الحرة	
الأستاذ الدكتور آندريه أومستيرلينك عميد جامعة لوثن الكاثوليكية	
فيكونت اتين دافينيون رئيس المؤسسة البلجيكية العامة	

هذا المعرض تم تنظيمه من قبل وزارة الثقافة، المديرية العامة للآثار والمتاحف،
في الجمهورية العربية السورية، جامعة بروكسل الحرة
وجامعة لوڤين الكاثوليكية وذلك بدعم من المؤسسة البلجيكية العامة
بمناسبة مرور ١٧٥ سنة على تأسيسها

اللجنة التنفيذية

السيد جان - جاك ماسار	الأستاذ الدكتور سلطان محيسن
أستاذ في جامعة بروكسل الحرة	المدير العام للآثار والمتاحف في
مدير الاتصالات والمصادر الإنسانية	الجمهورية العربية السورية
في المؤسسة البلجيكية العامة	

المفوضية

الأستاذ الدكتور إريك جوبيل

جامعة فريجي في بروكسل

الدكتور أنطوان سليمان

متحف حلب

اللجنة العلمية

الدكتور يواخيم برتشنايدر	الأستاذ محمد قدور
جامعة فيلهيم في مونستر / فيستفالن	مدير شؤون المتاحف
الأستاذ الدكتور إريك جوبيل	الأستاذ الدكتور عادل عبد السلام
جامعة فريجي في بروكسل	جامعة دمشق
الدكتور مارك لوبو	الدكتور عدنان البني
المركز الأوروبي لدراسة المناطق الريفية العليا (ECUMS)	مدير التنقيب والدراسات الأثرية
الأستاذ الدكتور لوتشيو ميلانو	الأستاذ بشير زهدي
جامعة كا فوسكاني في البندقية	الأمين الرئيسي في المتحف الوطني بدمشق
الأستاذ الدكتور فيليب تالون	الآنسة هزار عمران
جامعة بروكسل الحرة	مديرة المعهد المتوسط للآثار والمتاحف في دمشق
الأستاذ الدكتور كارل فان ليربيرج	الدكتورة يسرى الكجك
جامعة لوڤين الكاثوليكية	أمانة قسم آثار ما قبل التاريخ في المتحف الوطني بدمشق
	الدكتور فاروق إسماعيل
	جامعة حلب
	الدكتور أنطوان سليمان
	متحف حلب
	الأستاذ أسعد محمود
	مدير متحف دير الزور
	الدكتور ميشيل المقدسي
	المديرية العامة للآثار والمتاحف
	الأستاذ أحمد فرزة طرقيجي
	نائب مدير مركز الباسل للبحث والتدريب الأثري

اللجنة التنظيمية

الأستاذ الدكتور إريك جوبيل محمد قدور
ليليان تاكاير طوني جروج
أودري بوسويت ميشيل المقدسي
ناهدة الحموي

المعرض

الدراسة والتنسيق التقني
فريديريك دو سميدت

تصوير المشاهد

تراس - بروكسل

تحرير النصوص والشرح

إريك جوبيل ماري - ايڤ ستينويت
آن غوديريس فيليب تالون
مارك لوبو كارل فان ليربيرج

تنظيم الدليل

جينيريس - بروكسل

انتقاء القطع الأثرية

إريك جوبيل ميسر بيرودي
مارك لوبو أسعد المحمود
والتر سالابيرجيه أنطوان سليمان
ماري - ايڤ ستينويت عبدو أصفري
يسرى الكجك ناهدة الحموي

معاينة وتقدير القطع الأثرية

جابريللا فويت
أنطوان سليمان

تنفيذ النشاطات على الشاشة

ماكس ديزاين، مونستر

تحضير الوسائط السمعية والبصرية

ويلفريد بوسيه أوریکا، مركز العلوم الفنلندية
آجفا - جيڤايرت مشروع الأرشيف الرسمي الفنلندي حول آشور
جامعة لوفين الكاثوليكية

شركة الضمان

آون يوبلس وبيچولت

نقل القطع الأثرية

مارتينس انترناسيونال آرت ترانسبورت

الدليل

النشر العلمي
الأستاذ الدكتور فيليب تالون
الأستاذ الدكتور كاريل فان ليربيرج

وضعت النصوص من قبل

وضعت الحواشي من قبل

آ. فينه ن. فانديروست
آ. جوديريس و. نيوفنهويس
د. ستوردور ف. تالون
أ. جوبيل ب. ماتيه
إ. ريهم ت. بوي
إ. روكا ج. برتشنايدر
ج. جانس ف. فيراردي
ل. ميلانو ف. فان دير شتيد
م. لوبو و. سالابيرجيه

تنظيم عمليات التحرير

ليليان تاكايرت

أودري بوسويت

تنظيم الدليل

جينيريس - بروكسل

مركز الباسل في المديرية العامة للآثار والمتاحف

الترجمة

ميشيل بروز بشير زهدي
آن جوديريس ميشال المقدسي
سوزان جابت هزار عمران
أريك جوبيل يسرى الكجك
فيليب تالون إيمان سنديان
بول لويس فان بريغ عادة الحسين
فيرونك فان دير ستيدي فرجينيا فيراردي

التدقيق العام للترجمة العربية

محمد قدور

التصوير الفوتوجرافي

بول لوي

مصادر الصور الفوتوجرافية

دار النشر بريولس - تورنهوت

متحف برلين

فيلفريد بوسيه

الطبعة

دانييلس - تورنهوت

الدكتور روجير ماثيوس

المعهد الأثري البريطاني في أنقرة

معهد الآثار في جامعة الكوليج في لندن

الأستاذ الدكتور بيوتر ميكالوفسكي

قسم الدراسات الشرق أوسطية في جامعة

ميشيغان - آن هاربر

الأستاذ الدكتور لوتشيو ميلانو

قسم علوم الشرق الأوسط القديمة

جامعة كا فوسكاني في البندقية

الأستاذ الدكتور ميكيل موليس

قسم الآثار في جامعة برشلونة الحرة

الأستاذ الدكتور سلطان محيسن

المدير العام للآثار والمتاحف في الجمهورية

العربية السورية

الأستاذ الدكتور هانس نيسن

جامعة برلين الحرة

الدكتور فالتر سالابيرجير

معهد الدراسات الشرقية في جامعة لايبزيغ

الدكتور أنطوان سليمان

متحف حلب

الأستاذ الدكتور فيليب تالون

معهد التاريخ واللغات الشرقية

جامعة بروكسل الحرة

الأستاذ أحمد فرزت طرقيجي

نائب مدير مركز الباسل للبحث

والتدريب الأثري

الأستاذ الدكتور كاريل فان ليربيرج

قسم الدراسات الشرقية والسلافية في

جامعة لوفين الكاثوليكية

السيدة جابريلا فويت

قسم الدراسات الشرقية والسلافية في

جامعة لوفين الكاثوليكية

الأستاذ الدكتور باتريك فامباك

جامعة لوفين الكاثوليكية

الدكتور طوني ويلكنسون

المعهد الشرقي في شيكاغو

الدكتور بيتر أكرمانس

متحف ريجك فان اودهيدن لايدن

الدكتور عدنان البني

مدير التنقيب والدراسات الأثرية في

المديرية العامة للآثار والمتاحف بدمشق

الدكتور يواخيم برتشنايدر

جامعة فيلهلم في مونستر / فيستفالن

الأستاذ الدكتور ميشيل بروز

جامعة بروكسل الحرة

الأستاذ الدكتور جاك كوفان

مدير الأبحاث في المركز الوطني للبحث

العلمي، جاليس / بيرياس

الأستاذ الدكتور دومينيك شاريان

جامعة باريس الأولى

المدرسة التطبيقية للدراسات العليا

الدكتور روني ديكرت

جامعة لوفين الكاثوليكية

الأستاذ الدكتور مانفريد ديدريش

ورئيس تحرير مجلة الدراسات الأوغاريتية

الأستاذ الدكتور ديتز - أوتو إدزار

معهد الدراسات الآشورية والحشية

في جامعة ميونخ

الدكتور عادل عبد السلام

جامعة دمشق

الإستاذ حميدو حمادة

متحف حلب

الأستاذ الدكتور فاروق اسماعيل

جامعة حلب

الأستاذ الدكتور هارتموت كونه

قسم الدراسات القديمة للمناطق الآسيوية

في جامعة برلين الحرة

الأستاذ الدكتور أميلي كورت

قسم التاريخ في جامعة الكوليج في لندن

الدكتور مارك لوبو

المركز الأوروبي لدراسة المناطق الريفية العليا

الأستاذ أسعد محمود

مدير متحف دير الزور

الشكر

نخص بالشكر كل من قام بتقديم مساهمته في تنظيم وتنفيذ هذا المعرض، وخصوصاً
ولفريد بوسي ونداء الأسمر لتنفيذهم الفيلم الوثائقي عن الكتابة في سورية

* * *

مؤسسة بروميتيا وبشكل خاص السيدة آن جوتارد التي وجهت اهتمامنا الى مشروع الحفريات في موقع تل بيدر

* * *

السيدان دويتز وجاكسين من السفارة البلجيكية في دمشق لمساعدتهما أثناء زيارتنا المتكررة الى دمشق

* * *

جان غيريل المستشار القضائي السابق في المؤسسة البلجيكية العامة، لمساعدته وصبره في تنفيذ هذا العمل المصني

* * *

العاملين في المديرية العامة للآثار والمتاحف لمساهماتهم وتعاونهم في تنظيم المعرض وإنجاز الدليل

* * *

جمعية اچفاجيثايرت

* * *

وبطبيعة الحال لكل الأشخاص الذين ساهموا في الاعداد والتنظيم من مختلف المتاحف والمعارض البلجيكية
وكل من قدم خبرته في شتى المناسبات

الشمس والشرق والإناء الزجاجي

الدكتورة نجاح العطار

وزيرة الثقافة

الجمهورية العربية السورية

بعد يوم، وأكثر فأكثر، وعبر هذا التوحد، قرية صغيرة كبيرة للخير، لاقية صغيرة كبيرة للشر، كما يتمنى أعداء الثقافة، أعداء الحضارة، أولئك الذين يسعون إلى عولة تنتفي منها الحرية الفردية الإنسانية والإبداعية، وتمحي منها الحضارات في تنافسها إلى ما هو أرقى، وتبقى حضارة متفردة واحدة، حضارة مهيمنة مسيطرة تلغي التلاحق الحضاري، وتجاوئ التفاعل، والتنافس، هذه الدوافع النبيلة، الهادفة إلى إحياء وتطوير الحضارة، بدل تعقيمها لقتل الخصب فيها، وتجميدها في ثلاجة الشره إلى الهيمنة، حيث التحجر يلغي جدلية الأخذ والعطاء، ويلغي، في النهاية، الحضارة نفسها، حين ينعدم التنافس فيها ولأجلها، هذا التنافس الحر، الشريف، النزاهة، الذي هو سر إحياء الحضارات، وإبقائها فاعلة متفاعلة، معبرة عن الذاتيات الإنسانية للبشرية في أرجاء المعمورة، كما الناموس الطبيعي للحياة ذاتها.

إن الثقافة، كما التاريخ، تحمل حقيقتها في موضوعيتها، والتبادل الثقافي، المؤسس على هذه الموضوعية، هو دائماً لصالح الطرفين المتبادلين ثقافياً، وما إقامة معرض «سورية وأصل الكتابة» في بلد عريق في حضارته كبلجيكا، إلا النموذج الأسمى لهذا التبادل الذي أردناه، أنتم ونحن، والذي تتجلى غايته القصوى، في دفع الثقافة إلى الصدارة، وكلنا يعلم أن الثقافة، في وقتنا الراهن، هي في الصدارة، وبعدها تتطور العلاقات، في كل المجالات، على الوتيرة نفسها، ولنا كل الرغبة، وكل الحرص، على هذا التطور في التبادل الثقافي بيننا، وعلى ما يليه من نفع متبادل في كل الحقول، وعلى جميع الأصعدة، وحين تكون الثقافة هي السفارة، فإن سفارتها هي المثلى، وسيطلع الشعب البلجيكي والأوروبي، الصديق، من خلال هذا المعرض، على نفائس حضارية، كانت أرض سورية، وستبقى منبتها وموئلها، وقد

لو كانت الشمس توضع في إناء من زجاج، لأتيناكم بالشرق شمساً ساطعة في هذا الإناء، شمساً تشع في ذاتها، ولغيرها أيضاً، لنا نحن بني البشر، الذين في طموحهم المشروع، وعملهم الدؤوب، لا يرون الشمس كوكباً بعيداً جداً، منيراً متوهجاً يمدتنا بالضوء والدفع فقط، وإنما يرون فيه قدرة إلهية خارقة أيضاً، وإبداعاً من صنع أنامل الفلك التي لا تجاري، وقرصاً يمنح كوكبنا الأرضي فيضاً من الفيض الذي تحدث عنه المعلم الأول ابن سينا، معطياً إياه المدى الذي لا يُحدّ بحدود، ولا يقاس بمقياس، لأنه، في جغرافية الكون، المساحة الأبعد من الظن، وفي انطلاقة الروح هو كل الفضاء الذي تسبح فيه الكواكب، ما عُرف منها وما لم يُعرف بعد، ونحن على يقين من أنه، في فتوحات العلم سيعرف حتماً، وسيكون هذا المجهول الآن، هو المعلوم غداً وبعده وبعده، على مدار الزمن، في أثيرة انسياله التي لا تتوقف، ولن تتوقف أبداً.

ولئن كانت أمنية إحضار شمس الشرق إليكم في إناء مستحيلة، فإن إحضار هذا الشرق، في كل معطياته الإبداعية الحضارية، ليست بالمسألة المستحيلة، مادام التعاون الثقافي، في تجلياته المزهرة على أناملكم وأناملنا معاً، قد كان في وسعه، وسيكون في وسعه بشكل أكبر، أن يقيم جسراً بيننا، جسراً عجبياً، منسوجاً من قصص ألف ليلة وليلة، محاكاً من أساطير بابل، جسراً حجارته هي الكلمات الماسية، التي منها القصص ومنها الأساطير، و قضبانه الحديدية هي الأسلاك اللاسلكية، التي في تموجاتها الصوتية، صوت الشوق إلى المتعة والمعرفة، هاتين اللتين، في التوحد الذي لا اجتزاء له، هما معطى إبداع منسجم، متناغم، كامل، شامل، جمع البشرية على اسمه في البدء، وسيوحدها على اسمه في الختام، حيث كرتنا الأرضية السمراء، تصبح يوماً

كان للبعثة السورية - الأوروبية المشتركة التي تنقّب في تل بيدر، سبق الاكتشاف الذي نقدره تماماً. كما وأنه لشرف كبير أن يحظى هذا المعرض برعاية جلالة الملك ألبير الثاني، ملك بلجيكا، ورئيس الجمهورية العربية السورية حافظ الأسد، وأود بهذه المناسبة أن أنقل لكم تحياته وتغنياته بنجاح هذا المعرض، وأن أنوه بما له، منذ ربع قرن ونيف، من أثر كبير في رعاية عمليات التنقيب في سورية، وعنايته بها، وحرصه الدائم على دعمها، مادياً ومعنوياً، وتوفير كل المقومات اللازمة، للكشف عن الآثار وترميمها والحفاظ عليها.

إن عنوان معرضنا هذا، «أصل الكتابة»، ذو دلالة تاريخية واجتماعية، فمن الناحية التاريخية، تعود بنا المعروضات الثمينة، التي ستطلعون عليها، إلى قدم الحضارة السحيق في سورية، ومن الناحية الاجتماعية، تقدّم هذه المعروضات الأجوبة الحاسمة على التساؤلات العلمية حول موضوع «بداية الكتابة»، مؤكدة ما يقوله الباحثون الآثاريون من أن الكتابة كانت الجزء الهام من الثقافة، ووسيلة التعبير عن الأفكار وتجديدها وتخليدها، وأن الإنسان الذي أبدع هذه الكتابة، هو سيد الابتكارات والإكتشافات في كل العصور، قديمها والحديث.

لقد أظهرت بعثات التنقيب، مكتشفات أثرية مهمة في الأرض السورية بعامة، وفي موقع «جرف الأحمر» شمالاً بخاصة، وزوّدت هذه المكتشفات السادة الباحثين بمعطيات جديدة ومفيدة في بحوثهم ودراساتهم، تثبت أهمية هذه المنطقة العربية، ومدى إسهامها في نشوء الكتابة منذ أقدم مراحلها، وهي المرحلة المعروفة بالتصويرية، وأن قدماء المزارعين المستقرين في حوض الفرات، كانوا أول من حاول التدوين على ألواحهم الحجرية، بطريقتهم الخاصة منذ الألف التاسع قبل الميلاد، قبل نحو ستة آلاف عام من ظهور الكتابة عند السومريين في بلاد ما بين النهرين، ذلك أن بعثة التنقيب الأثرية السورية - الفرنسية المشتركة، العاملة في موقع «جرف الأحمر» اكتشفت أربعة ألواح حجرية عليها إشارات مبهمّة، تعتبر محاولات أولى في التدوين، تجسّد جهداً مثيراً في اتجاه الكتابة، في عصر «كتابة ما قبل الكتابة». وقد اعتبرت هذه الشارات دليلاً وسطياً يقع في منتصف الطريق بين تاريخ رسوم لاسكو الفرنسية وتاريخ ابتكار الكتابة، موحية بضرورة إعادة النظر في الاعتبار المعطى للرسوم الزخرفية الفخارية الأولى، المنظور إليها من وجهة نظر جمالية وتجميلية فقط.

إن المعارض الأثرية هي أحد مظاهر النشاطات الحضارية، وهي تعبّر عن العلاقات الودية بين الحكومات والشعوب، وتشكّل أحد مظاهر الصداقة بين الدول، ومعرضنا هذا، الذي يؤكّد من جديد، الصداقة الوطيدة، والعلاقات الطيبة، بين سورية وبلجيكا، يُعرّف من خلال الوثيقة الأثرية بمراحل تطور الكتابة، منذ الألف الرابع وحتى الألف الثاني قبل الميلاد، من الإشارات التصويرية والرمزية إلى الإشارات المسمارية، الصوتية المقطعية، وحتى الكتابة الأبجدية. وهو يضم حوالي ٥٠٠ قطعة أثرية من القطع التي اكتشفت في مواقع مختلفة من أرضنا، مثل ماري، جبل عرودة، حوبة الكبيرة، تل خويرة، إبلا، تل براك، تل بيدر، تل موزان، أوغاريت وغيرها. ومن أهم مجموعاته الرقم الطينية ذات الكتابة المسمارية، الأختام الاسطوانية والمسطحة، تماثيل عليها كتابات قديمة، وكذلك الدمى، والحلي المختلفة والآثار الفخارية، وغير ذلك، مما له أهميته البالغة في الدراسات الأثرية لتاريخ الحضارات.

ويسرني، بمناسبة صدور الدليل العلمي لهذا المعرض، الذي أسهم في إعداد بحوثه عدد من العلماء المختصين، السوريين والأوروبيين، أن أشكر المؤسسة العامة البلجيكية ممثلة بالسيد جان جاك ماسار، الممول الرئيسي لهذا المعرض، وأن أشكر رئيسي جامعتي لوڤين وبروكسل، الدكتور أ.ر. أوسترلينك، والدكتور ج.ل. فانهر فيغم، المشاركين في التنقيب، وإدارة وأعضاء البعثة السورية - الأوروبية المشتركة في تل بيدر، كما أشكر اللجنة المنظمة للمعرض، وكل من أسهم في حسن إعداده وترتيبه وتنسيقه، آملة، بل واثقة، من أن هذا التعاون العلمي المتميز، سيستمر بيننا لصالح شعبينا الصديقين، والتراث الانساني الذي نسعى جميعاً للكشف عنه وسبر أغواره.

إن الأرض، أمانة، كريمة في عطاياها، وهذه الكنوز الأثرية بعض تلك العطايا، رصدها التاريخ بأختامه السحرية، فجاء الإنسان، هذا الجبار القادر المروض للطبيعة، كوناً وكائنات، وفك الرصد، لبالكلمة الطيبة، كما يقال في الأسطورة، وإنما بالعمل، أسطورة الأسطورة، وقد عملنا، وعملتم معنا، فكانت الحصيلة العظمى، هذه المعروضات الثمينة وفيها إبداع الأسلاف، وفيها، أيضاً سرّ هذا الإبداع، الذي انكشف بالعلم والجهد، في عناقهما الأبدي، وفي تعاونهما لأجل تقدم البشرية، ولصنع معجزتها أيضاً.

وجهة نظر

شارل بيرتان

منذ تلك الليلة المختبئة في ذلك الماضي الذي يتعذر سبره، حيث ظهر للمرة الأولى، ذلك الإنسان القرد ذو الجبهة المنخفضة المוגل في القدم، يجلس بجانب نار أحدثتها كتل من الأغصان، وينتابه شعور خفي، فيه انفعال ولدته رؤية السماء المتلألئة بالنجوم. منذ ذلك الوقت، لم تعرف البشرية واقعة أعظم من اختراع الكتابة.

ويؤكد بعضهم، وفي مناسبات عدة، بالرغم من إدراكي أنه من العبث إشادة المنارات في مسيرة العصور، إن ولادة الكلام المبين الذي سبق بطبيعة الحال ظهور الكتابة، له دلالاته ومعانيه ويظهر وبشكل نهائي تفوق الجنس البشري الحاسم على الحيوان.

لكن الكلام، في أغلب الظن ليس إلا ثمرة تطور طبيعي وتكيف عضوي للجنس البشري، في حين أن الكتابة هي نتاج ابتكار متعمد له مكانته ضمن نظام التطور الفكري، وارتقاؤها ليس إلا نتيجة فعل خلاق وقفزة في الإحساس البشري المرهف، الناتج عن رغبته في تخيل الأشياء قبل تحقيقها، وإدراكه بوجوب إكمال وإغناء قدرات اتصاله الشفوية الزائلة والمتبخرة وحرصه الشديد على ديمومة رسالته.

ستسمحون لأديب دفعه فضوله لمعرفة المغامرة البشرية، والذي يجهل ما أعطته العلوم الجديدة، والاكتشافات الأثرية في ميادين الكتابة القديمة، أن يحدثكم عن الجانب «الشعري» لتلك المغامرة والمسيرة التي استدرجت الإنسان للخوض في غمار ذلك الابتكار. هذا الابتكار، ألم تكن نزعته على غرار غالبية الإبداعات الفنية في إبراز تصوير مجازي للغة منطوقة، فيه من الإقناع ما يجعله في حيز التداول كلما دعت إليه الحاجة.

وهكذا يكون الإطار المادي قد اكتمل باستعمال الركيزة والاستعانة بأشكال مكونة من رموز ملائمة، ومن هنا تكون الكتابة، وتحت وطأة الضرورات الاقتصادية، ليست إلا المعين الأساسي للذاكرة، ووسيلة الإسناد المتعذر دحضها والأداة الرئيسة للاتصال بين البشر.

والعلم، الذي ما برح يجاهد خلال خمسة أو ستة آلاف سنة لحلّ لعنة الحضارة، ورموز تلك الكتابة الأولى للبشرية، يصل وبشكل عفوي إلى نجاحاته الأولى، ويفضل حدسه ودقة رؤيته للأشياء يتوصل، كسائر الأمور، إلى معرفة تطورها، بالرغم من تردده ووقوعه في مطبات الضلال. لكن إصراره سيمكنه من متابعة مسعاه (ودليل هذا المعرض يقدم الشواهد المدهشة) وهذا شاهد رائع على ثقة هؤلاء المتمرسين بالجنس البشري.

من بين الحقائق التي لقنها العلم، أنه بالرغم من السعي الحثيث للبقاء، فإن البشر الزائلين لن يتواروا بشكل نهائي، لأنهم اهتموا بنحت دلالات وعلامات على الحجر، تشير إلى مرورهم، تُركت فوق حواف الدروب التي سلكوها. كذلك فقد تعلمنا أن الإنسان ومنذ أزمنة بعيدة تدفعه الحاجة إلى تسجيل رغبته بالبقاء. هذه الرغبة الساخرة والمثيرة للعواطف يحققها بالحفاظ على صيرورته والمحاولات المستمرة لتجسيد حركته ووقائع حياته التي تشكل إحدى نزعات فكره الأساسية، سجلها بالصوت أو بالكلمة في المعبد أو على المنحوتة.

من بين الحقائق التي نتذكرها، أن تاريخ الإنسان من عصر إلى آخر ومن حضارة إلى أخرى، يختلط مع ملحمة الأشكال التي تتدفق متموجة بشكل مستمر دون نهاية، وأن هذا التحريض الذي لا تعيه الذاكرة يدفعنا ومنذ العديد من القرون للإيمان بالوجود وبشكل قوي بعيداً عن فكرة الموت.

وهكذا فإن التقدم المستمر لمعارفنا، وللأحداث التي مرت والنصوص التي كتبت، وللأشخاص الذين عاشوا ذلك العالم القديم، كل هذا أشبه ما يكون في عالم اليوم بآلة مؤتمتة، غايتها التحري عن الزمن في عصر بدأت فيه المحاولات للكشف عن الفضاء الخارجي، في إطار الحلم لتوسيع مملكة الإنسان حتى تخوم النظام الشمسي. لذا فمن واجبتنا أن نحكم بالعدل على هؤلاء الآثاريين وعلماء الخطوط واللغات اللذين استنفروا وبفضول

صارم لسماع الماضي السحيق لهذه الأرض. وكما قال باسكال: «لا يمكن أن تظهر عظمة الأشياء ببلوغ أحد الأطراف، إنما بقدرتنا على السيطرة عليهما معاً». ومن هنا فإنني على قناعة تامة بعدم وجود أي تناقض بين الحركتين المتزامتين للفراغ والزمن، وأظن أن هذا الانجذاب المجسي ليس إلا جزءاً تكاملياً يقذف بخيال الإنسان نحو السماء البعيدة، وأحلام الآلهة الميتة، وإن المستقبل سوف يظهر عظمة هاتين الحركتين بإخضاعهما النمو التقني لمتطلبات الذاكرة أكثر من متطلبات الكشف.

كل ما أخشاه ونحن على مشارف الألف الثالثة أن يكون استنطاقنا عن الكتابة ومستقبلها، لا بل عن مصير ثقافتنا بشكل عام أكثر مأساوية. فهي ليست آمنة من الخطر المداهم للتقدم الحاصل في تقنيات الاتصالات والأتمتة، فالحيز الذي تنتشر فوقه يتضاعف ليسيطر على حياتنا اليومية وفي تكوين العالم الذهني لأولادنا، والتحول الذي تعاني منها الدراسات التقليدية في التعليم الحديث أدت إلى تناثر وتهجير وتفثيت حيوية الشباب في هذه الأيام بالإضافة إلى أمور أخرى أكثر مأساوية، أظهرها جورج ستينير على شاكلة إنذار مؤثر للحفاظ على التناسق بالعلاقات المتناغمة التي قامت عليها حضارتنا الغربية منذ أكثر من ألف عام.

وأذكر أنني شاركت في ندوة عامة منذ أكثر من ثلاثين عاماً، كان محورها قلق بعض المثقفين للنتائج التي قد يولدها انتشار التلفاز. منذ ذلك الزمن حدثت تطورات من طبيعة مشابهة أفلقتنا لخطورتها وتشعبها.

وأذكر جيداً أنني أظهرت في مداخلتي التدهور الحاصل والذي لاحظته عند مساءلتي عن نوعية القراءات التي قام بها أحد أبناء أصدقائي الموسيقيين. لقد كان حيويّاً، جذاباً مغرماً بموسيقى الجاز والمغامرة ولا يتجاوز عمره الـ ١٢ أو ١٣ سنة. وقد سألته إن كان يحب جول فيرن فأجابني بطبيعة الحال بالإيجاب و«جزيرة الكنز» فبادر بالموافقة، و«الفرسان الثلاثة» فعبّر عن إعجابه ومعرفته الكاملة. وعلى الفور عبرت عن بهجتي وهنأته على فضوله ومعلوماته، فبادر بالإجابة ونشوة الانتصار تبدو واضحة على ملامحه «لقد شاهدت هذه القصص في التلفاز!»

لا أخفي عليكم، ما حصل، كانت بالنسبة لي لحظة صعبة بدت نتائجها واضحة على ملامح وجهي بدليل أن الطفل كان ينظر إليّ بنظرات ساخرة كتلميذ تمكن من إحراج أستاذه. وهذا الذي حصل بالفعل، فقد كنت أمامه مغيباً كمن يحمل سحراً ضائعاً لا

فائدة منه، مثقلاً بالسعادة غير القادرة على التواصل وبذكريات خفية عن طفولتي في الزمن الذي كنت أجاهد لمتابعة قراءاتي في الساعات الممنوعة مستعيناً بمصباحي الصغير كي أضئ كتابي الذي أخفيه تحت غطاء سريري. بمصورات تلك الجزيرة التي كنت أخطئها لمرات ومرات على دفاتر مدرستي باحثاً عن مسيرة الباخرة الغارقة في جزيرة الـ«لينكوان» بين مستنقعات سكنها البط البري وتنتشر فوقها بقايا من أخشاب الـ«جاكامار». كما كنت قد أشرت، هذا الطفل ابن الموسيقى لن يتعرف أبداً على ما فعلت، وأتساءل إذا ما كان عزائي الوحيد أنه لن يشعر أبداً بما فقد.

واليوم، عندما أستعيد ذكريات ذلك الحوار، تلك الحكاية الصغيرة، تلك المواجهة بين جيلين أو عالمين، لا يمكن لي أن أمنع ذاتي من التأمل بذلك الرسم الهزلي، حيث يبين ذلك المريخي الذي وصل للتو إلى سطح كوكبنا، فطلب بثقة من مستخدم محطة الوقود: «هل لكم من اللطف بإيعاد كلتي بديكم عن آذانكم وإعلام قادتكم بأننا قد وصلنا؟». نعم إنهم هنا لقد وصل خلفاؤنا، المثقلون بعبء الأحلام والمتعطشون إلى الصور الإلكترونية، الذين ينتمون إلى عالم السمعيات والبصريات والمتحمسون إلى نظام الإنترنت. نعم إنهم هنا، لقد اجتاحوا الأرض.

أنا لست رسولاً كي أستطيع تصور ماهية عالمنا في القرن المقبل. ومن منا يمكن له أن يدعي قدرته على معرفته؟ لكنني أخشى من أن يجد قانون غريشام الإقتصادي «العملة الرديئة تطرد العملة الجيدة» مكانته في الحيز الثقافي فنفقد عزتنا وباعث وجودنا. عندها سيرتحل الكثير منا.

لا أرغب في ختام هذه المقدمة أن أصور لكم المستقبل بتلك الأفكار الكثيرة. لكن ما أتمناه من أعماق قلبي أن أكون على خطأ. وأفضل أن أستعيد صورة ذلك الطفل الصغير الذي يعشق الصور ويجهل كل شيء عن الكتب كي أطمئنتكم بأنه قد شاخ ونضج لا بل تغير، وهذا سيفتح لنا الآفاق للتفاؤل. ربما مثلنا، سيستمر رجال المستقبل باعتقادهم أنهم حلقة بسيطة من سلسلة لا متناهية؟ سيُسرون مثلنا باكتشاف فرحهم الأعظم في جمع تلك الأحجار الصغيرة البيضاء التي زرعها قبلهم أناس في الغابة كي ترشدتهم عند عودتهم إلى الطريق القويم؟

ومهما يحدث غداً، اسمحوا لي أن أطلق آميتي وثقتي بأن التطور البشري سوف يسمح دائماً لنا نحن الصامدون أن نستمع

بحرية أخيرة: حرية الاعتقاد بأن أي «تقدم» مستقبلي لن ينوب
أبداً عن القوة الخفية لكتاب بين أيدينا، لتلك الدوائر المذهبة التي
يتركها مصباحٌ في وحدتنا وعمق تلك الليالي التي عاشها شارل
بليسنى، الممزوجة بالضجيج العذب لتلك الصفحة التي ولدتُ
في فواتنا تلك السعادة المرتعشة.

مقدمة

الدكتور سلطان محيسن
المدير العام للآثار والمتاحف

ق.م. كما كُشف، حديثاً، عن لوحات حجرية، تعود إلى الألف التاسع ق.م، وتحمل رموزاً غريبة قد تكون نوعاً من الكتابة، وهي بذلك أقدم دلائل توثيق معروفة حتى الان. تم إنجاز هذا المعرض عملاً بتوجيهات السيد الرئيس حافظ الأسد، رئيس الجمهورية العربية السورية، الذي يعطي أهمية خاصة للتعاون السوري - الأوربي. كما أن الدكتورة نجاح العطار، وزيرة الثقافة، قدّمت كل المساندة والدعم لإنجاحه. شكرنا الجزيل لجميع الجهات البلجيكية والسورية التي ساهمت في انجازه.

الكتابة هي مصدر معلوماتنا الرئيسي حول الحضارات القديمة. وقد حظيت الكتابات القديمة بالكثير من البحوث والدراسات، وأصبحنا نعلم الآن بأن الكتابة التصويرية قد ظهرت لأول مرة في نهاية الألف الرابع ق.م، ثم تطوّرت إلى كتابة مسمارية مقطعية في الألف الثالث ق.م، وظهرت في منتصف الألف الثاني ق.م الأبجدية الأولى.

تبين بأن سورية، إلى جانب جنوب بلاد الرافدين، قد لعبت دوراً هاماً في نشوء وتطوّر الكتابة. دلّت على ذلك المكتشفات التي أتت من مختلف المواقع، وآخرها موقع تل بيدر، حيث وُجد أرشيف، كُتب بالخط المسماري، يعود إلى منتصف الألف الثالث

البروفسور الدكتور جان - لوي قانهيرقيغم

عميد جامعة بروكسل الحرة

في حقيقة الأمر ترقى العلاقات العلمية القائمة بين جامعتنا وسورية إلى زمن بعيد وقد أخذت شكل تقاليد علمية في البيت الأثري في العديد من مجالات العهود القديمة، ونذكر على سبيل المثال حفريات مدينة أفاميا التي يقودها البروفيسور جان شارل بالتى وحفريات تل قنّاص بإدارة البروفيسور اندريه فينه، وذلك ضمن إطار حملة إنقاذ آثار المواقع المهددة بالغمر في بحيرة سد الثورة، بالإضافة الى أبحاث البروفيسور رولان تيفنان في تل أبوضنة وتل أم المرة في منطقة حلب.

واليوم أخذ هذا التعاون أشكالا جديدة وذلك ضمن نطاق المجموعة الأوربية من خلال المشروع الرائد لحفريات تل بيدر الذي يجمع العديد من الجامعات الأوربية مع المؤسسات العلمية السورية. بطبيعة الحال شاركت جامعة بروكسل في دعم وتأسيس هذا المشروع من خلال البروفيسور فيليب تالون، وكانت ثمار النتائج التي تم الحصول عليها الدليل على نجاعة هذه الأعمال المشتركة بين الباحثين الأوربيين والسوريين والتي سمحت للطلاب المستجدين الخوض في غمار التجارب الصعبة في مجالات التنقيب والدراسات اللغوية.

وقد مكّنت هذه الأعمال من فتح صفحات جديدة من تاريخ الإنسانية، فبعد الاكتشافات العامة التي حصلت من قبل البعثة الأثرية الإيطالية في موقع تل مردوخ، ها هي الجزيرة السورية تكشف عن الدور الذي لعبته كنقطة وصل بين مناطق العالم القديم من بلاد الرافدين وسومر الى مناطق السواحل السورية. وفي نهاية الأمر يوفر هذا المعرض الذي حظي برعاية ارفع السلطات السورية والبلجيكية، فرصة فريدة لترويج هذا التعاون المثمر بين جميع هذه المؤسسات، ويتزامن مع العيد التأسيسي الـ ١٧٥ للمؤسسة البلجيكية العامة التي قامت بانجاز هذه التظاهرة الثقافية، ومن هنا فإن سعادتي كبيرة أن تكون جامعة بروكسل الحرة من بين تلك المؤسسات التي تشارك في تنظيم هذا المعرض.

إن مناسبة تنظيم معرض «سورية وأصل الكتابة» ليست إلا فرصة نادرة لتأكيد مدى متانة العلاقة القائمة بين جامعة بروكسل الحرة وتلك البقعة من العالم القديم الحافلة بالحضارات العريقة.

فعلى هذه الأرض السورية قامت أولى الخيمات القديمة في العصور الحجرية التي حققت الخطوات الأولى في انتقال المجموعات البشرية من الحياة الطبيعية الى مناطق معيشية ملائمة لحياة الإنسان. كذلك فقد تلاقت على هذه الأرض وعلى مدى سنين طويلة من التاريخ تأثيرات متعددة، أمتها من بقاع الأرض المختلفة كي تتلاقى في المجالات الثقافية واللغوية والدينية.

وفي هذا البلد المتعدد الثقافات مرت غالبية الحضارات القديمة منذ بدايات الأزمنة، فالسومريون والأكاديون والبابليون والآشوريون والأموريون والحثيون والمصريون والآراميون أقاموا فوق هذه الأرض السورية بالمرور والإستيطان والاستقرار، وذلك خلال مراحل التاريخ القديم. كذلك فقد كانت هذه المنطقة مركز لقاء وصراع بين الشرق والغرب:

البارثيون والساسانيون والعرب والأتراك من جهة واليونان والرومان والبيزنطيون والفرنجة من جهة أخرى.

ساهمت سورية بمركزها المتوسطي، بفعالية في التجارة الدولية منذ أقدم الأزمنة وحتى العصور الوسيطة، فطريق الحرير كان مركز الجذب في مناطق بعيدة جداً لكثير من المنتجات والأفكار والمفاهيم الجديدة. كذلك فقد تدفقت الى الأرض السورية الترجمات الهامة من اليونانية القديمة الى العربية والسريانية للنصوص الفلسفية والطبية والتاريخية التي كان لها الدور الهام لقيام مذاهب النزعة الإنسانية في أوربة خلال الفترات اللاحقة.

ومن هنا فإنه ليس من المستغرب أن تكون هذه الأرض الغنية من النواحي الثقافية والحضارية مركز الاهتمام المباشر لجامعة بروكسل الحرة الواقعة في وسط أوربا وفي مركز التقائها.

البروفسور آندريه أوستيرلينك

عميد جامعة لوڤين الكاثوليكية

وحرّان ونصبيين، وبواسطة مسلمي اسبانية، لتتأصل في مناطق أوربة الغربية المختلفة.

وبذلك استفادت الجامعات الأوربية من الفلسفة والعلوم الشرق أوسطية، وكان تأثير ابن سينا على الفكر الغربي لا يترك أي مجال للشك، فمؤلفاته في الفيزياء والرياضيات والميتافيزيقيا أحدثت في أوربا مشادات هامة بين المثقفين. بالإضافة إلى ذلك فإن قانونه الطبي بقي نقطة الارتكاز الرئيسة حتى القرن الثامن عشر، واستعمله أساتذة وطلاب جامعة لوڤين الكاثوليكية حتى زمن ماري - تيريز.

منذ عام ١٩٩١ تشارك مجموعة من جامعتنا في الحفريات الأثرية الأوربية - السورية في موقع تل بيدر، في إطار مشروع يجمع عدد من الجامعات والمؤسسات السورية والأوربية. بطبيعة الحال تدعم جامعة لوڤين الكاثوليكية هذا المشروع، وقد قمت مع الدكتور سلطان محيسن، المدير العام للآثار والمتاحف في سورية، بتوقيع اتفاقية تشكيل هذا الفريق. عندما أطلعني كاريل فان ليربيرج وجابريل فويت، عضوا قسم الدراسات الشرقية في جامعتنا، على برنامج الأبحاث التقنية والبيئية، اقترحت عليهم فكرة قيام تعاون في مجال دراسة تاريخ وآثار سورية القديمة بين الباحثين والمهندسين التابعين لمركز الأبحاث الالكترونية الذي ترأسه لبضع سنين، وقد كان دور هذا المركز كبيراً في عدد من المجالات، وبفضل التقنيات التي قدمها تم إعطاء نتائج فوتوغرافية واضحة للرقم المسماة. كذلك فقد شارك مركز دراسة علم الوراثة البشرية وقسم الكيمياء الهندسية في إظهار الكثير من المعطيات الأثرية المكتشفة في تل بيدر.

وهكذا فإن النتائج الباهرة التي تم التوصل إليها، ساعدت في الحصول على الدعم اللازم من المؤسسات الجامعية (Onderzoeksraad) والفيديرالية (Fonds voor Wetenschappelijk Onderzoek Vlaanderen) والمختبرات التقنية البلجيكية.

تشير رعاية جلالة الملك ألبير الثاني، ملك بلجيكا، وسيادة الرئيس حافظ الأسد، رئيس الجمهورية العربية السورية، على أهمية هذه التظاهرة الثقافية في نطاق التعاون والتفاهم المشترك بين سورية وبلجيكا بشكل خاص وبلدان الشرق الأوسط وأوربا بشكل عام. كما يسعد ويشرف جامعة لوڤين الكاثوليكية أن تسهم في تنظيم وإقامة هذا المعرض.

ترقى العلاقات المتبادلة بين جامعة لوڤين الكاثوليكية وسورية إلى أزمئة بعيدة. وقد كان لتأسيس الالما ماطر في عام ١٤٢٥ الأثر الأكبر والدور الحاسم في إظهار الثقافة والحضارة السورية بكل أبعادها وعلى الخصوص في مجال اللغات الكلاسيكية وبدايات المسيحية والعلوم العربية.

بفضل جهود العالم الإنساني إراميس، تأسست في عام ١٥١٨ (الكوليجيوم تريلينغ) التي كان لها الدور الحاسم في قيام القواعد الأولى لدراسة العالم الشرقي والتي استمرت في الازدهار حتى يومنا هذا. وهكذا فإن قسم الدراسات الشرقية، بادر بتأسيس مشروع متعدد الاختصاصات، لدراسة حضارات وثقافات المناطق الرافدية الشمالية والذي تضمن برنامج عمل دراسي خاص للمستويات الجامعية العليا (الحلقة الثالثة) وتُبحث فيه بنجاح على المستويات الدولية، آثار وحضارات شرقي المتوسط.

في حقيقة الأمر، كان لسورية الدور الطليعي كصلة وصل أساسية في نقل العلوم القديمة، ولم يكتشف الغربيون الآداب والكتابة، البابلية والآشورية، وعلوم الرياضيات والفلك، إلا من خلال انتقالها عبر سورية وبفترات متأخرة، زمن الامبراطورية الرومانية. أضف إلى ذلك فإن قيام المسيحية الأولى ساعدت منذ تأسيس مركزها الأول في مدينة أنطاكية وانتشارها في أرجاء الإمبراطورية الرومانية، على نشر التراث الثقافي السوري في غالبية المجتمعات الثقافية المعروفة في تلك الفترة.

وانتقلت المعارف القديمة من الجامعات النسطورية المعروفة في الرها

وفي الختام يسر جامعة لوفين الكاثوليكية أن تقوم بتنظيم هذه
التظاهرة الثقافية بالتعاون مع المديرية العامة للآثار والمتاحف في
الجمهورية العربية السورية وجامعة بروكسل الحرة، ويسرني أن أقدم
التهاني الخاصة إلى المؤسسة البلجيكية العامة التي قدمت دعمها
ومساعدتها في تنفيذ هذا المعرض بمناسبة مرور ١٧٥ سنة على
تأسيسها.

فيكونت اتين دافينيون

رئيس المؤسسة البلجيكية العامة

تقوم مؤسستنا منذ عام ١٩٩٠ بتقديم الدعم للآثاريين في جامعة بروكسل الحرة وجامعة لوڤين الكاثوليكية، العضو المؤسس للمركز الأوروبي لدراسة المناطق الريفية العليا (ECUMS)، الذي كرّس نشاطه وأبحاثه في موقع تل بيدر الواقع في الشمال الشرقي من سورية.

وقد قدمت السلطات السورية موافقتها للمبادرة التي اتخذناها، وأعبر هنا عن امتناني للأستاذ الدكتور سلطان محيسن، كذلك فإنني أخص بالشكر الجزيل السفير جوتارد الذي قام بتقديم المساعدة والإرشاد.

عندما نبلغ من العمر ١٧٥ سنة، فمن الطبيعي ألا نتوقع الحصول على منفعة، ومن الأجدر أن نقدم للآخرين ولأكبر عددٍ منهم مشاركة ناجعة وجذابة، آمل أن تحظى بإعجابكم.

الكتابة هي الأداة المدهشة التي تمكّنا الآن من معرفة الماضي والتي تُظهر للحاضر شخصيته العابرة، وبالرغم من الاختلافات بين الحضارات والثقافات الناتجة عن التباين في الأزمنة والأماكن، تستطيع الكتابة أن تكون الفرصة الوحيدة القادرة على إثبات وإدراك التفاهم بين هذه الحضارات المختلفة في زمنٍ من المفترض أن تسوده «الشمولية»، حيث يدرك الجميع وبسهولة مدلولات هذا الرهان.

وبما أن الإنسان يملك عطية الفكر فقد شاء أن يجد الأداة التي تضمن الإستمرار لتجاربه الوقتية والتواصل لرسالته. والآن، إن كان باستطاعتنا إدراك وفهم أصول الكتابة، فإن ذلك بقي غامضاً ولفترات طويلة من الأزمنة. وقد أرادت المؤسسة البلجيكية العامة وبمناسبة الإحتفال بمرور ١٧٥ سنة على تأسيسها أن تسهم بالإجابة الدقيقة عن أصول هذه الكتابة.

المجالات الجديدة للتعاون السوري - الأوربي

س. محيسن

والتخزين فيها، كما نعمل معاً على اعداد بعض المواقع الاثرية السورية الهامة، لوضعها في الخدمة السياحة الثقافية، وإنشاء مدرسة للترميم في سورية لتدريب الكوادر المحلية المختصة في الصيانة والترميم. وهناك مشاريع للتعاون في اطار المعارض الاثرية وادخال التقنيات الحديثة في مختلف أنشطة المديرية العامة للآثار، ناهيك عن برامج تعاون أخرى تطل المكتبات والموسيقا والفولكلور وغير ذلك.

ونحن ننظر لهذا التعاون بكل سعادة وتفاؤل، ونرى فيه تشجيعاً للحوار والتعارف بين العرب والأوربيين الذين تجمعهم روابط تاريخية وجغرافية وغيرها.

كان لسورية دائماً علاقات خاصة، ومنوعة، مع أوربة. ومع ظهور المجموعة الأوربية حصلت انطلاقة هامة في مجالات التعاون السوري - الأوربي التي شملت مختلف أوجه الأنشطة الأثرية والتراثية. فقد تزايد عدد البعثات الأثرية السورية - الأوربية المشتركة، ولم يعد عملها مقتصرأ على أعمال الكشف والدراسة، وإنما شملت القيام بأعمال صيانة وحفظ وترميم الأوابد والمكتشفات الأثرية والمساهمة في تدريب الكوادر السورية المختصة. أفضل مثال على ذلك هو نشاط البعثة السورية - الأوربية المشتركة في تل بيدر. وهناك برامج هامة أخرى في مجال تجديد المتاحف السورية، وبخاصة متحف دمشق وتدمر، وتحسين وسائل العرض

1	الإطار الجغرافي	II	رعاية المعرض
	عادل عبد السلام	II	لجنة الشرف
2	سورية في العصر الحجري القديم	IV	اللجنة التنفيذية
	سلطان محسن	IV	المفوضية
3	من ثورة العصر الحجري الحديث الى الثورة العمرانية	IV	اللجنة العلمية
	جاك كوفان	V	اللجنة التنظيمية
		V	المعرض
4	ظهور الكتابة في الشرق الأدنى	VI	الدليل
	روجير ماثيوس	VII	الشكر
5	ابتكار الكتابة المسمارية: فك الرقم القديمة من الوركاء		
	هانس نيسن		
9	تطور الكتابة المسمارية: نظام عمل الكتابة السومرية	IX	الدكتورة نجاح العطار
	ديتر آتو إدار	XI	شارل بيرتان
11	استخدام الكتابة المسمارية في اللغة الأكادية	XIV	الأستاذ الدكتور سلطان محسن (مقدمة)
	بيوتر ميكالوفسكي	XV	الأستاذ الدكتور جان لوي فانهير فيغم
		XVI	الأستاذ الدكتور اندريه اوستيرليتك
13	الكتابة المسمارية في موقع تل بيدر: روابط ثقافية وتعبير محلي	XVIII	فيكونت اتين دافينيون
	والتر سالا بيرجير	XIX	الامستاذ الدكتور سلطان محسن
14	النصوص المسمارية في ماري خلال عصر السلالات القديمة		
	دومينيك شاريان		
15	انتشار الكتابة في سورية: إبلا		
	لوتشير ميلانو		
17	التطبيقات الإدارية: فن حفر الأختام والكتابة		
	جابريللا فويت ويواخيم برتشنايدر		
19	الكتابة المسمارية الكلاسيكية في الألف الثاني قبل الميلاد		
	كاريل فان ليربيرج		
21	أوغاريت موطن أقدم الأبجديات		
	مانفريد ديتريتش		
23	النصوص الأدبية والمساهمة الثقافية		
	فيليب تالون		
26	علم الكتابات القديمة: ما هي آفاقه؟		
	كاريل فان ليربيرج وياتريك فامباك		
28	وماذا بعد الكتابة؟		
	ميشيل بروز وفيليب تالون		

الجزيرة السورية	تل بيدر
30 تاريخ أعمال التنقيب الأثري في سورية عدنان البني	45 مشروع تل بيدر مارك لوبو وأنطوان سليمان
32 الأبحاث الأثرية الراهنة في الجزيرة السورية أسعد المحمود	48 التنظيم المعماري والعمارة مارك لوبو ويواخيم برتشنايدر
33 المشهد الأثري في الجزيرة السورية طوني ويلكنسون	51 الأختام الاسطوانية السورية والاكتشافات الجديدة في تل بيدر: تطورها والمشاهد التي قدمتها بين ٣٣٠٠ و ٢٢٠٠ قبل الميلاد يواخيم برتشنايدر وجابريلا فويت
34 الكتابة في الجزيرة السورية حميلو حمادة	54 الأبحاث البيئية روني دبكورت وكاريل فان ليربيرج
35 العصر الحجري الحديث في الجزيرة السورية ميكل موليس	57 تل بيدر في عالم ما بين النهرين يواخيم برتشنايدر، مارك لوبو، فيليب تالون، كاريل فان ليربيرج
36 من القرية الى المدينة: الجزيرة السورية في العصر الحجري الحديث وحتى العصر الحجري النحاسي (من الألف السادس إلى الألف الرابع قبل الميلاد) بيتر أكرمانس	جدول بالقطع الأثرية المعروضة مراجع عامة
37 الجزيرة السورية خلال النصف الأول من الألف الثالث قبل الميلاد أنطوان سليمان	
39 الجزيرة السورية في الألف الثاني قبل الميلاد فاروق اسماعيل	
40 علاقة الجزيرة مع بقية أجزاء سورية في عصر البرونز الوسيط . أحمد فرزة طرقيجي	
41 الجزيرة السورية في العصور الآشورية الوسيطة وفي الألف الأول قبل الميلاد هارتموت كونه	
43 الجزيرة السورية في العصور ما بعد الآشورية: من الإمبراطورية البابلية الحديثة إلى الإمبراطوريات الرومانية والبارثية أميلي كورت	

جغرافية سورية

ع. عبد السلام

تقسم سورية إلى غرب رطب وشبه رطب وشرق داخلي شبه جاف وجاف وتنضوي نباتاتها وتربها تحت ثلاث زمر هي :
- نبات الغابة وتربها حيث الأمطار السنوية أعلى من ٥٠٠ ملم .
- زمرة الشجيرات والأعشاب، وتنتشر شرق نطاق الغابة حيث لا تسمح كميات الأمطار بنمو الأشجار.
- نباتات وترب الصحراء وتغطي مساحة محدودة من أقصى الجنوب الشرقي.

هذا وتنتشر في سهوب وأشباه صحراء سورية أحواض منخفضة تشغلها واحات تمارس فيها زراعات كثيفة. أو تتألف من الحباري. إن البيئة الطبيعية في سورية قد تغيرت نتيجة النشاط الزراعي الحديث. وعلى الرغم من ضيق مساحة البقاع الرطبة والخصبة التربة في سورية، فإنها كانت موطن الزراعات المستقرة والتجمعات السكانية الحضرية والريفية، التي توسع مدى انتشارها إلى السهوب وشبه الصحراء نتيجة دخول الآلة (مضخات المياه) وتحسن الطرق ووسائل النقل إليها منذ خمسة عقود مضت.

تقع سورية شرق البحر المتوسط على عروض فوق مدارية، وتتمتع بمقومات جغرافية طبيعية متميزة أهلتها لتكون موطناً لحضارات متطورة وإعمار نام.

تندس الصفيحة البنائية العربية تحت الأرض السورية المغطاة بصخور رسوبية تؤلف تضاريس البلاد، التي ضربها الانهدام السوري الإفريقي مشكلاً سلاسل جبال بلاد الشام في الغرب، منتظمة في سلسلتين تشمخ قممهما في سورية حتى ٢٨١٤م في جبل الشيخ. وتمتد هضاب الداخل إلى الشرق من الجبال على علو ٥٠٠ - ٧٠٠م، حيث تتبعثر على سطحها منخفضات مغلقة، ويفصلها إقليم الوسط السوري (الجبال الوسطى والجبال التدمرية) إلى بادية الشامية الشمالية (الرصافة) والبادية الشامية الجنوبية (الحماد والفيضات). أما يسار نهر الفرات فتمتد فيافي وسهول الجزيرة على ارتفاع متوسط قدره ٣٠٠م التي يندر أن يظهر على سطحها عوائق تضريبية مهمة.

سورية في العصر الحجري القديم

س. محيسن

العظم الجداري لجمجمة إنسان الهومو-اركتوس، وهي الأهم من نوعها في الشرق الأوسط حتى الآن. حصلت في نهاية هذا العصر فترة انتقالية تعاصرت فيها حضارات عديدة منها البيرودية والاورينياسية والهملية.

العصر الحجري القديم الاوسط والاعلى:

بدأ العصر الحجري القديم الأوسط منذ حوالي ١٥٠ ألف سنة خلت، وانتشر استيطان انسان النياندرتال بكثافة عالية في كل المناطق. ومن أهم المواقع، الديرية في منطقة وادي عفرين، حيث كشف عن هيكل طفل نياندرتالي، عمره حوالي الستين وهو الاكمل من نوعه في العالم. وهناك موقع أم التلال بطبقاته الأثرية المتتالية والغنية بمعطيات نباتية وحيوانية وأدوات حجرية، إضافة الى جزء من عظم قزال لجمجمة انسان النياندرتال. بدأ العصر الحجري القديم الاعلى منذ حوالي ٤٠ ألف سنة، ويلاحظ تراجع نسبي في الاستيطان لا نعلم، حتى الآن، اسبابه الحقيقية. ولكن مع انتهاء العصر الحجري القديم أي منذ حوالي ١٤ ألف سنة، عادت سورية من جديد مركز وجود بشري ونشاط حضاري مستمر عبر العصور اللاحقة.

تعود المعلومات الأولى عن العصر الحجري القديم في سورية الى بداية هذا القرن، ثم بدأت التنقيبات النظامية في الثلاثينات منه، وتطورت في السنوات اللاحقة. ويوجد حالياً ثلاثة مواقع قيد التنقيب هي: الندوية، وأم التلال في حوض الكوم ومغارة الديرية في منطقة عفرين.

العصر الحجري القديم الأدنى: (١٠٠٠،٠٠٠ - ١٥٠،٠٠٠) سنة خلت:

يعتقد أن إنسان سورية الأول، وهو من نوع الهومو-اركتوس، قدم من القارة الافريقية سالكاً خط الساحل المتوسطي والانهدام السوري - الافريقي. وقد وجدت آثاره في حوض النهر الكبير الشمالي وحوض العاصي، وهي تعود الى حوالي مليون سنة خلت. ومنذ حوالي ٧٠٠،٠٠٠ / سنة، اتسع نطاق الاستيطان وازداد عدد المواقع وسكنت مناطق جديدة في البادية السورية، ومن أهم المواقع اللطامنة في حوض العاصي والميرة في البادية. ومنذ حوالي ٥٠٠،٠٠٠ / سنة انتشر الاستيطان في كل سورية، ومن أهم مواقع هذه المرحلة القرماشي في حوض العاصي والندوية في حوض الكوم. فقد كشف في موقع الندوية عن عدة سويات أثرية ضمت أدوات حجرية وبقايا مستحاثية متنوعة أهمها جزء من

من ثورة العصر الحجري الحديث إلى الثورة العمرانية

ج. كوفان

تعريب: ي. الكجك

حيوانية (الماعز، الغنم، ثم البقر والخنزير). وبدأ في حوالي ٧٠٠٠ ق.م الرعي البدوي، وهو الذي نقل النيوليتية بشكل تدريجي لمناطق مجاورة (الأناضول، مناطق الجنوب الشرقي، واحات الصحراء... إلخ)، وهنا أيضاً حدث تحوّل ذو طابع فكري ورمزي أشاع ميلاً للذكورية في العبادة: مثل عبادة الثور، (المشاهد الأولى ذات الطابع المذكور) والميل للأسلحة.

يبدو أن حضارة (PPNB) قد لعبت دوراً هاماً في إبتكار الفخار فيما بعد في فترات حلف والعبيد، وفي هذه الفترة إرتبطت سورية الشمالية بمناطق الإبداع الثقافي الأكثر إتساعاً والتي إنتقل مركزها شيئاً فشيئاً باتجاه أواسط المشرق، وجنوب بلاد الرافدين.

شاركت سورية مع مجموعة بلدان المشرق في حوالي الألف التاسع قبل الميلاد في إكتشاف الزراعة، التي توجهت بداية نحو القمح الشتوي في حوض ديمشق، ونحو القمح ذو الحبيبات والشليم والشعير في الفرات الأوسط. لم يكن هذا الإكتشاف نتيجة لحاجات غذائية جديدة، بل نتيجة طريقة أكثر فعالية في إدراك وفي استثمار المحيط الطبيعي، ولها علاقة بالتغيرات الفكرية المشهودة من خلال الفن مثل (عبادة الربة).

ومن جهة أخرى فإن الفرات الأوسط والجزيرة كانتا مهد الحضارة النيوليتية الثانية ما قبل الفخار (PPNB) في الشرق الأوسط، والتي أبدعت المسكن الدائري، وشيئاً فشيئاً تمت السيطرة على أنواع

ظهور الكتابة في الشرق الأدنى

ر. ماثيوس

تعريب: إ. سنديان

صلصالية. وعندما تبلورت هذه الطريقة بلغت ذروتها حيث تم إحصاء ١٢٠٠ إشارة للكتابة ما قبل المسمارية منذ ظهورها لأول مرة.

ظهرت الكتابة ما قبل العيلامية في عدة مواقع إيرانية، وخصوصاً في وماليان تيبه - محيا قبل نحو ٣٠٠٠ عام من عصرنا الحالي. وبالرغم من علاقتها التركيبية مع الكتابة ما قبل المسمارية في بلاد ما بين النهرين، فإن هذه الكتابة استخدمت رموزاً مختلفة تماماً كما إرتبطت بمجموعة ثقافية جديدة ذات طابع أكثر مشرقية.

ومما ساعد على ظهور الكتابة العيلامية التأثيرات الثقافية لحضارة الوركاء (أوروك) الحديثة من الفترة السابقة، ومع أن الأمر يتعلق - بشكل رئيسي - بتطور إيراني محلي استمر بضعة قرون.

اكتشفت أقدم كتابة مصرية في صعيد مصر في مدفن U-ld الص Abydos الذي يعود لـ ٣١٥٠ عاماً ق.م، وكانت على شكل نقوش على قطع عظمية أو عاجية وعلى طبقات أختام مكتوبة على أغشية الجرار، وإشارات مرسومة بالحبر على الأواني الفخارية. وأشارت هذه الكتابات إلى موقعي بوتو وتل الغارا في دلتا النيل، وهذا أمر هام، حيث كشفت التنقيبات في بوتو عن شواهد تدل على علاقات مع بلاد ما بين النهرين - حضارة الوركاء (أوروك) الحديثة. إذاً يبدو من المرجح أن فكرة الكتابة عرفت طريقها إلى المجتمع المصري في مرحلة ما قبل السلالات عن طريق تجارة الخمر مع بلاد ما بين النهرين وحضارة الوركاء (أوروك) الحديثة، كذلك عن طريق فلسطين.

وفي الختام، يبدو أن كافة المحاولات الكتابية الأولى كان قاسمها المشترك غياب العناصر القواعدية، مما يدل على أن أصلها يعود للسانيات متعددة.

أعالج في هذا البحث، الوثائق المتعلقة بأصول وبداية تطور الكتابة في ثلاثة مناطق من الشرق الأدنى القديم: وهي بلاد ما بين النهرين وإيران ومصر - قبل أن أختتم ببعض الملاحظات العامة.

تطورت الكتابة ما قبل المسمارية في بلاد ما بين النهرين، خلال القرون الأخيرة من الألف الرابع ق.م، ضمن سياق اجتماعي تميز بالتعقيد المتزايد، لأنه تزامن مع إنتشار حضارة الوركاء (أوروك) الحديثة خارج حدود بلاد ما بين النهرين الجنوبية، باتجاه سورية وتركيا وإيران.

يدل هذا الانتشار - بشكل رئيسي - على نمو كبير في العلاقات الاقتصادية في مجال التجارة والتبادل، ومما لاشك فيه أن هذا التطور التدريجي تضمن عناصر سياسية ودينية هامة، كما تشير إليها النقوش وطبيعة النصوص نفسها.

ويبدو أن الكتابة ما قبل المسمارية كانت قد تطورت في فترة ما من المراحل التي لم يسجل تتابعها بطريقة مؤكدة ولا في أي دراسة للطبقات الجيولوجية في أي موقع فردي. وتعتبر مواقع الوركاء (أوروك) وسوزا وحبوبة الكبيرة وجبل عارودا من أهم المواقع لدراسة تطور الكتابة في بلاد ما بين النهرين القديمة. ولا يزال الشك قائماً بخصوص مدلولات اللويحات الدائرية العائدة لعصر ما قبل التاريخ، ويرجح أن يكون لبعضها صلة بأصول الكتابة، حيث أنها كانت توضع ضمن غلاف من الصلصال يحمل طبعة ختم، وهناك فترة هامة أخرى تتمثل في مهر إشارات على الوجه الخارجي للمغلف الصلصالي تدل على محتواه. إفتقد هذا التطور خطوة واحدة حتى تم الإستغناء عن استعمال هذه اللويحات والتحول إلى إشارات مطبوعة أو محززة حصراً على رُقم

ابتكار الكتابة المسمارية: فك الرقم القديمة من الوركاء

هـ. نيسن

تعريب: ي. الكجك

١ - النصوص

(IIC). وبذلك فإن الوثائق الأقدم المكتوبة يجب أن تؤرخ في أواخر عصر اوروك الحديث. دون أن تتمكن من اعطاء تحديد أدق.

١ - ١ - تاريخ الكشف

تم الحصول على النصوص عن طريق شراء مجموعة من الرقم الطينية، مظهر قديم في بداية هذا القرن. لكن الغالبية العظمى، تم الحصول عليها عن طريق الحفريات، التي كشفت عن رقم تحمل كتابات أوروكية قديمة من عصر جمده نصر، وأور. وذلك في منتصف الثلاثينات، مما وضع في أيدينا مادة كافية لتتبع التطور العام لأول الكتابات.

ومنذ اللحظة التي بدأ فيها (ي. فالكسين) بدراسة النصوص القديمة للمواسم الثلاث الأولى في اوروك، ونشرها عام ١٩٣٦، لم يقدم فقط تحليلاً نقدياً للنصوص الأوروكية القديمة، والتي لا نملك الكثير من الخيارات لاضافتها اليوم، إلا أنه قدّم ترتيباً زمنياً لازال صالحاً بالنسبة لمجموعات النصوص المعروفة حتى اليوم. إن أقدم مجموعات النصوص الأوروكية (أوروك IV) عرضت أقدم الكتابات، وتبعتها مجموعة أعطت كتابات لها نفس سمات نصوص جمده نصر (أوروك III، جمدة نصر، رقم مشراه). تبعتها رقم أور «القديمة»، والتي من المعلوم بأنها أحدث. ثم بعد فجوة زمنية مؤقتة تظهر نصوص فاره التي سبقت نصوص تبلو بقليل.

بعد ذلك الوقت، اضيفت مجموعة من الرقم والكسرات من اوروك إلى المجموعة، فأصبحت تضم حوالي ٥٥٠٠ رقم وكسرة للفترة الزمنية التي تفصل ما بين نهاية عصر اوروك والسلالات القديمة I، وزمن نصوص أور، أو للفترة ما بين ٣٣٠٠-٢٩٠٠ ق.م.

كل الرقم بلا استثناء التي عثر عليها في سويات الرديميات والتي تتوضع بين الطبقات يوضح تنابعها الزمني؛ ومع ذلك فإن هذا الوضع قد أوجد مشكلات بالنسبة لتأريخ الرقم الأقدم، لأنها كشفت في سوية ولا يمكن تأريخها إلا بأقدم من سوية السكنى القديمة

١ - ٢ - القراءة (فك الرموز)

إن مقارنة هذه الرقم القديمة، مع نصوص فاره. التي نشرت سابقاً. يوضح بأن البصمات الدائرية أو الممتدة، التي توضع في بداية الخانات، كانت عبارة عن مؤشرات رقمية، وبأن عدداً كبيراً ومتنوعاً من النصوص، يتعلق بالإدارة الاقتصادية. إن النصوص التي كانت كل خانة منها قد ادخلت فيها الإشارة (١)، يوجد ما يماثلها في نهج القوائم المعجمية، أو «النصوص المدرسية»، الموجودة في فاره. توصل فلاكنستيه في بداية الثلاثينات وانطلاقاً من (٦٢٠) رقماً من اوروك، الى نتائج تتوافق بخطوطها العريضة، مع ما نحن بصدد شرحه هنا. فنحن لا ندين له فقط بالتقسيم الباليوغرافي، وتأريخ مجموعات النصوص، ولكن أيضاً بما نعرفه من طرائق الكتابة، وتبدلاتها. من خلال جرد الإشارات وتغيراتها. وكذلك محتويات النصوص.

منذ عام ١٩٦٥ ونحن نعمل في برلين على طبع وتحضير كل نصوص اوروك القديمة. وقد حصل تقدم كبير منذ عام ١٩٨٢، حيث انضم إلى فريق العمل روبرت ك. انكلاندر د. بيتر داميرو من برلين. وقد صدر المجلد الأول منها، ويتعلق بتطابق مختلف أنظمة الاشارات الرقمية، ونشر قائمة اشارات وقائمة معجمية. أما المجلدات اللاحقة فهي في طور التحضير. وخلال ذلك، فإن كل المعطيات تحفظ في بنك المعلومات في برلين، يتم توزيعها على أقراص مدمجة CD. وقريباً على الانترنت.

١ - ٣ - المحتوى:

كل المصادر هي نصوص ادارية، أو معجمية. فنحن لا نعرف أي

المحلين وتسمية ألقابهم. والترجمة الحديثة لهذه القائمة تتعلق بمعرفة الدخول الأول لهذه المسميات إلى السلطة العليا.

٢ - النص الكامل

٢ - ١ - المحيط الأثري - التاريخي

عثر على أقدم الرقم في انقاض اينانا، المنطقة المركزية المحاطة بجدار مدينة اوروك، وتؤرخ بنهاية الفترة المسماة اوروك، مع آثار فنية لأوابد معمارية وأعمال فنية من نوعية غير معروفة سابقاً، وتشهد الاختتام الأسطوانية التي عثر عليها على وجود حضارة مدنية سابقة لتلك الفترة.

تظهر الكتابة منذ النصوص الأقدم كنظام مبني بشكل متكامل، وذاك بغض النظر عن بعض القراءات أن معظم أشكال الاشارات، وبشكل خاص في الاتفاقات من كل نوع، هي مثبتة. مع ذلك، فإن هذه الظاهرة لا تفسر الفكرة التي كانت معروفة عن المستندات المكتوبة الأقدم المفقودة. ويمكن تفسير ظاهرة الكتابة بالبحث عن طرائق جديدة لحفظ المعلومات، وذلك بافتراض أن الكتابة تمثل الوسيلة الأكثر كمالاً ودكاً، لجمع القدر الأكبر من المعلومات. فالكتابة نظام بقيمة الكمال، تسمح بتسجيل كل ما نرغب، وهي ليست البداية: فالاختتام والسدادات، هي الوسائل الأقدم والأبسط، وتشكل البدايات الأولى لتخزين المعلومات. فبينما تدل طبعا الاختتام على أهمية الرابط ما بين الاداة المحتومة والشخص الذي صممها، تمثل عمليات الإضافة والطرح المكتوبة على السدادة عدداً أو كمية يمكن التوصل إليها بالحساب.

منذ العصر النيوليتي، استخدمت هاتان الطريقتان في حفظ المعلومات، وثبتت لآلاف السنين، حتى عصر اوروك، حيث لاحظنا تنامياً في القدرة على حفظ المعلومات، حيث تم العثور على كرات من الطين صنعت بشكل تستطيع معه تلقي عدد معين من السدادات، التي زوّدت سطوحها بطبعات، أما العدد فقد حفظ داخل الكرة وخُمي من جهة بالغلاف الطيني، ومن جهة أخرى بالختم الذي وضع في الخارج لضمان الحماية، وبذلك فإن نوعين من المعلومات ممكن حفظها بمساعدة نفس الوسيلة، وهذا ما يحدث عندما يكون رقيماً طينياً مسطحاً مغطى بالأرقام، ثم يمهر بعد ذلك بختم. إذا نظرنا من هذه الزاوية، فإن الكتابة لم تكن

نص ذو محتوى أدبي أو ثقافي، أو تاريخي. وهذا حتماً ليس بطريق المصادفة، ولكنه يتعلق بشكل واضح بعدم وجود ضرورة لنقل تقاليد لغوية شفوية إلى مكتوبة. كانت حتماً غنية وخصبة. تتعلق النصوص الادارية بالارساليات إلى مخزن مركزي، أو بتوزيع المنتجات الزراعية من كل نوع. إذاً هي ذات مدلولات غذائية بشكل عام، مواد أولية أخرى. وإدارة قطعان من الماشية والأيدي العاملة. في بعض الحالات النادرة، يمكننا التكهن بأن المتلقي موظف كبير، فالذي يتلقى هذه الكمية من الشعير لا يمكن أن تكون لاستعماله الشخصي، وإنما لتوزيعها على رؤوسه. حسابات الصادر لفترات طويلة، كانت تنشأ انطلاقاً من المخرجات اليومية وهي على الأرجح لا تستخدم فقط لمراقبة الوضع، وإنما لمعرفة الكميات التي يجب حفظها من الشعير للتمكن من تحضير البذار الضروري للموسم القادم.

إن هذه الدقة الكبيرة في تعدد المستويات في النصوص القديمة يجعلنا نعتقد بوجود بنى إدارية ونظام توزيع، ما كانت أقل تعقيداً قبل اختراع الكتابة. وبمساعدهما تم انتقاله في المستوى المتوسط، ثم غدا أكثر نضجاً.

الـ ٦٥٠ نصاً معجمياً، هي منسوخات لـ ١٤ قائمة مختلفة، التي نعرف لها منقولات أحدث. وقوائم لمفاهيم دلالات، إنها عبارة عن مفاهيم مترابطة بصلات دلالية تضم أسماء وتسميات مختلف أنواع الحيوانات كالأبقار، والطيور، والأسماك أو الخنازير، وكذلك الأخشاب والمواعين الخشبية، الأقمشة، والأدوات المعدنية، وأوان ذات محتويات مختلفة، وأسماء مدن. هذه المنسوخات التي لم تحدث عليها اضافات خلال ٨٠٠ سنة، توحي بأنها قد كان لها دور هام في نقل الكتابة. فهي قد اعتبرت كمحاولة باكورية للتصنيف، ومحاولة لجعل العالم مراقباً عن طريق تسمية المفاهيم وإحصائها.

نحن نركز بشكل خاص على القائمة المسماة (أسماء المهن) التي تحوي ألقاب وأسماء المهن السائدة، حسب النظام الطبقي. نحن لا نعرف متى تم دخول هذه المشتقات السومرية، لكننا نجدها في معجم الألف الثاني عشر، مع ترجمة (Sharru) التعبير المتعارف عليه في ذلك العصر للإشارة إلى الملك. وبهذا فإن هذا اللقب والسطور اللاحقة، تحوي ما يشير على الأرجح إلى شيء من نوع «حاكم»، ثم نجدها مرتبطة بمفاهيم «حق»، «مدينة»، «شعير»، «محراث»، و«يد عاملة»، إن المظهر العام هو لقائمة من الحكام

إلا نهاية لسلسلة طويلة من المحاولات الهادفة لتوسيع المعلومات المخزونة.

يمر فهم هذه التغيرات عبر بحث استخدامات اللغة بأشكالها الأقدم لحفظ المعلومات. فقد ساهمت الكتابة بشكل واضح في توسيع وانضاج نظام موجود سابقاً، يسمح بمراقبة الكميات الداخلة والخارجة من الممتلكات الهامة، من وجهة نظر كمية أو نوعية. إن المسيرة التي قادت السدادات والأختام القديمة إلى الكتابة، تربنا صلتها الفريدة مع نظام الإدارة الاقتصادية، إذاً كانت مرهونة بتغيرات هذا النظام.

نلاحظ فجأة في منتصف الألف الرابع، بعد مرحلة طويلة من الاستيطان المتفرق في الفترة البابلية، تكتفياً سكنياً جديداً، وتنوعاً في مساحات المواقع التي أدت لبناء منشآت لم تكن معروفة سابقاً. فنحن نسجل منذ ذلك التاريخ تحولاً إدارياً في النظام الاقتصادي. لأن مدينة كأوروك يبلغ تعداد سكانها ٢٥,٠٠٠ و٥٠,٠٠٠، في حوالي ٣٣٠٠ ق.م. لم تكن قادرة على تحقيق اكتفائها الذاتي.

٢ - ٢ - اللغة

بما أن الهدف الوحيد للكتابة الأولى، كان تسجيل جذور الكلمات بهدف إجراء رقابة لاحقة للمعاملات، فلم يكن هناك ضرورة لكتابة كل ما يقال. فالملاحظات يمكن أن تقرأ بأية لغة مع الأخذ بعين الاعتبار شروط التأويل الشفهية. ولم نعثر على معالم للغة إلا حيث كانت الإشارات المستخدمة مع قيمة صوتية، وحيث الشكل والمعنى يمكن أن يشير إلى لغة محددة. من الأمثلة النادرة يمكننا أن نفترض بأن السومرية كانت اللغة الخطية لهذه النصوص، وذلك بالرغم من أن اللغة السومرية الأحدث، كانت تحوي على سلسلة من المفردات ذات أصل غير سومري. إذاً نستطيع افتراض وجود خليطة أعراق. بعضها قد استقر في البلاد منذ فترة طويلة، بينما المجموع الأكبر، والذي يشكل السومريون جزءاً منه لم يصلوا إلى هذه المنطقة قبل الألف الرابع ق.م. وبعضهم مسؤول عن الاستيطان الواسع الذي كنا بصدد ذكره.

٣ - إيضاح النظام.

٣ - ١ - تقنية الكتابة:

حاملة النص معروفة منذ فترة طويلة، وتتكوّن من الطين غير المثبت

المستوى كقطع مسطحة. تُطبع على سطحها الإشارات أو تحفر، بواسطة مخرز من الخشب أو القصب.

في البداية كان يستخدم على الأقل مخرزان، أحدهما مخصص لكتابة الأرقام له من جهة رأس مثلث، ومن الجانب الآخر دائري، ينتج عن الاستخدام المائل له على الطين انخفاضاً ممتداً يمثل في العادة رقم (١)، وينجم عن الاستخدام العمودي له على سطح الرقيم انخفاضاً دائرياً، يستخدم للرقم (١٠). أما الجهة الأخرى للمخز فمهي بشكل دائري، قطره كبير يستخدم لكتابة الأرقام الأعلى.

المخز المخصص للكتابة، كان في البداية، يُرفع رأسه ليخط الإشارات المفردة، ثم بعد ذلك بقليل يعدّل الرأس بشكل يمكن معه إحداث أشكال زاوية، وبدلاً من استخدام أداة للرسم، يستعمل في نفس الوقت الرأس بشكل مائل. وبهذه العملية فإن الخطوط المنحنية تتحلل إلى أجزاء قصيرة، وكل الخطوط التي فوق ذلك، تخصص برأس عريض، مما يعطيها مظهراً مسمارياً، من هنا أتت تسمية الكتابة بـ «المسمارية».

٣ - ٢ - إنجاز الإشارات:

في اللحظة التي أدى فيها الضغط الاجتماعي لإيجاد فكرة الكتابة، بدء بالتماس أشكال ملائمة للإشارات، وُبدء على الأرجح بأشكال مجردة ألحقت بعد ذلك بأشكال الأشياء بشكل مجرد، ثم أُضيفت إليها إشارات مقتبسة من الطبيعة في حالات خاصة.

٤ - اختراع أم صناعة:

بالرغم من أن الكتابة كانت اختراعاً مباغتاً، قام بها شخص متميز. فهي لم تكن إلا حلقة أخيرة في سلسلة ألف عام من المحاولات الإنسانية لاختراع نظام يقوي الذاكرة، ويسمح بمساندة ذاكرة ضعيفة أحياناً. إن التطورات المتنوعة لأشكال التنظيمات الجديدة والمعقدة، ولدت الامتداد الواسع لتدفق المعلومات التي ينبغي التحكم بها بنفس الوقت. إن حدوث توسيع في تنظيم المعطيات لم يكن ممكناً، إلا في مجال التخزين الخارجي للمعلومات. كانت منطقة بلاد الرافدين القديم، بشكل خاص، المكان الأفضل للتطورات، ولتحول الكتابة إلى وثيقة أنشئت أكثر من سواها التطور الفكري للإنسانية.

إن التأثير الذي أحدثه وضع هذا النظام، سيدفع مع الزمن، وبالقيااس مع التحديات المستمرة، إلى الوصول لحلول تنظيمية جديدة، وفي نفس الوقت، كانت الكتابة تخضع لمتطلبات الاقتباس المتجددة دوماً.

تطور الكتابة المسمارية: نظام عمل الكتابة السومرية

د. أتو. إدزار

تعريب: م. المقدسي

«الملوك» وكذلك بالنسبة لفعل «أعطى» الذي يكتب بشكل (SÚm) و (nu-mu-e-ra (a) b-SÚm-mu-un) التي تعني «لن أعطيك أبداً».

لا بد من الإشارة إلى أن اللغة السومرية مختلفة بشكل pbi عن اللغات السامية والهندو - أوربية والتركية، ومن الناحية التصنيفية يمكن مقارنتها مع اللغة الجيورجية ولغة سكان منطقة الباسك الحالية. لم يتمكن من فهم النصوص السومرية بشكل جيد إلا عندما كتبت المقاطع التي تلفظ بشكل كامل وهذا معاصر لحكم ملك لاغاش أياناتوم صاحب النص المشهور المدون في «نصب العقبان» والمؤرخ حوالي ٢٤٧٠ قبل الميلاد.

اعتاد السومريون إعتباراً من القرن ٢٥ قبل الميلاد على كتابة المعاني الأساسية وأسماء العلم التي كانت تنسب إلى خصائص عامة، لكنها مرفقة بشكل عام بإشارات لتحديد معناها. هذه الإشارات تضاف أمام أو خلف المفهوم العام المشار إليه: فالأدوات التي كانت تصنع من الخشب كان يضاف إليها الإسم المعروف (GIS) الذي يعني الـ «الخشب» وكذلك بالنسبة للأدوات المصنعة من القصب كان يضاف إليها (GI) الذي يعني الـ «القصب»، واسم طير محدد كان يضاف إليه (MUSEN) الذي يعني الـ «الطير»، واسم مدينة محددة كان يضاف إليهما (KI) الذي يعني الـ «مكان» إلخ ...

إن استعمال أدوات التعريف كانت في البداية طريقة عملية للتعبير عن الأسماء ونحن نرى أن استعمال هذه الأدوات هو نتيجة جهد كبير قام به الكتبة لتنظيم العالم المعروف. وبدى هذا بشكل واضح في الشواهد الأدبية - المعجمية التي بدأت تظهر بعد اختراع الكتابة في بلاد الرافدين مع نهاية الألف الرابع أو بداية الألف الثالث قبل الميلاد، والتي تناقلتها مدارس الكتبة وحتى فترات زمنية متأخرة.

لقد كان اختراع الكتابة في الجنوب الرافدي مع بداية الألف الثالث قبل الميلاد بداية لمرحلة تطورت فيها هذه الكتابة حتى أصبحت وسيلة عملية تسمح بنقل كل ما يقال وقراءته دون أي غموض.

وقد قُدمت الأسماء والأفعال بصيغ بسيطة تم التعبير عنها برمز واحد، وعلى سبيل المثال (GUD) التي تعني الثور، أو (GU7) التي تعني تناول الطعام كان لا يمكن التمييز بين المعنيين إلا من خلال التبلور الكامل للغة المحكية، وهذا يعني الشكل الذي تقدمه كل المقاطع الإضافية الضرورية.

وأدت ضرورة كتابة أسماء العلم (أسماء الأشخاص، الآلهة والأماكن) بشكل واضح ومفهوم والتي كان لهما أهمية بالنسبة للنصوص الإدارية، إلى إضافة قيم صوتية جديدة، وهذا يعني استعمال رموز ليس لها علاقة مباشرة مع الإسم لكنها تشير إليه بشكل صوتي.

وعلى سبيل المثال، عندما نريد التعبير عن مفهوم «المعيشة - الحياة» في جملة إسمية كالتالي: «الإله إنليل يُحيي» فإننا نكتب صيغة محرفة لرمز «السهم» وذلك للتشابه الصوتي بين العلامتين (ti) التي تعني، المعيشة - الحياة و (ti) التي تعني «السهم»، وبنفس الطريقة بالنسبة للفعل «العودة - الرجوع» الذي يرمز له بـ (ge4) والذي يكتب بشكل مختلف قليلاً من رمز (gi) الذي يدل على مادة «القصب».

سوف نحاول بشكل مختصر إعطاء المميزات العامة للغة السومرية التي استعملت في التعبير عنها الكتابة الأقدم في منطقة الرافدين: فالأسماء والأفعال السومرية لهما جذور وللتعبير عنهما بشكل صحيح كان لا بد من إضافة عدد من المقاطع في بداية ونهاية هذه الجذور اللغوية، وعلى سبيل المثال فإن (lugal) تعني «الملك» (Lugal-ene) تعني «الملوك» و (Lugal-ene-r(a)) تعني

الباليوغرافيا: عرفت اللغة تطوراً ملحوظاً خلال الفترة الممتدة بين بداية الألف الثالث قبل الميلاد وحكم الملك البابلي سامسوالونا (١٧١٢-١٧٤٦ ق.م). وللتعبير عن هذا التطور بشكل مختصر يمكننا أن نقول إن الكتابة إنتقلت من التصويرية إلى التعبيرية من الخطوط المنحنية إلى الخطوط المستقيمة ومن الخط المحزّز إلى الإشارات المطبوعة التي لها رأس على شكل «مسمار»، وهذا كله يعني بكل بساطة الإنتقال إلى الكتابة المسمارية، فالكاتب عندما كان يطبع بمخضفهِ على الغضار كان يترك على رأس الإشارة علامة عميقة مثلثة مما ينتج عن ذلك شكل مسمار.

اعتبر كتبة العصر الأكادي (القرن ٢٥ والقرن ٢٤ قبل الميلاد) أن الشكل «المسماري» هو النموذج الكتابي الأمثل، وبذلك كانوا ينقشون الخطوط التي تحمل رؤوس مثلثية الشكل حتى في الكتابات المنقذة على الأحجار النفيسة.

بالمقابل عندما كان يقوم الكاتب بكتابة علاماته كان يتبع قواعد دقيقة للترتيب الذي كانت تتوضع فيه الخطوط والمسامير بشكل إفرادي لتشكل في نهاية المطاف المقطع الكامل. في حقيقة الأمر

لم يكن أمام الكاتب حرية كبيرة لتنفيذ هذه المقاطع والطريقة المتبعة في الكتابة السومرية يمكن مقارنتها مع نظام الكتابة الموجود حالياً في بعض دول الشرق الأقصى (الكتابة الصينية والكتابة اليابانية والكتابة الكورية)، حيث يكون نظام تتالي الخطوط محدد، لابل معين بشكل دقيق، أما عند توضع مسمارين فوق بعضهما فيمكننا عند معاينة النص الأصلي معرفة إذا ما كان المسمار «آ» يقع تحت المسمار «ب» أو بالعكس مما سيساعدنا على تتبع تسلسل الإشارات وبالتالي الوصول إلى الطريقة التي طبعت فيها «المسامير».

وباختصار يمكننا أن نقول أن الكتابة السومرية قد تطورت على شكل نظام يسمح بتسجيل أعقد العمليات الإقتصادية والخوض في المسائل القضائية والبحث في معضلات الفكر المعقدة، وما وصلنا من الأدب السومري العائد إلى بدايات الألف الثاني قبل الميلاد من قصائد مقدمة للآله إنانا أو البطل جلجامش بالإضافة إلى البحث عن أطلال مدينة أور وأشياء أخرى سمح لهذا الأدب من الدخول في منظومة الأدب العالمي.

استخدام الكتابة المسمارية في اللغة الأكادية

ب. ميكالوفسكي

تعريب: م. المقدسي

تسجل في تلك النصوص إلا بعض المعلومات اللغوية والصوتية وتركت للقارئ مهمة إعادة بناء العناصر المتبقية. في حقيقة الأمر إن المبادئ الأساسية للكتابة المسمارية بسيطة فهناك ثلاثة أنواع من الإشارات: الإشارات - الكلمات التي يمكن أن نسميها بالمقاطع الرمزية، الإشارات المقطعية وإشارات التعريف التي ترشدنا إلى الدلالة اللفظية للكلمة. والمثال الأوضح لما سبق سيكون في الرسم الذي يعبر عنه بالنجمة (*).

المقطع الرمزي	إشارة مقطعية	إشارة مقطعية
«الإله» (dingir)	(an)	«الإله» (dingir) = d
«السماء» (an)		
«الإله السماء» (An)		

يبدو لنا هذا المثال وللوهلة الأولى في منتهى التعقيد، لكنه في حقيقة الأمر سهل ويخلو من الغموض، ومن خلاله نستطيع أن نفهم كيف وجدت القيم المقطعية والتي لم تكن إلا عبارة عن مقاطع أحادية سومرية أضيفت إليها إشارات التعريف التي لم تكن تلفظ.

أما الاختلاف الأساسي بين اللغتين السومرية والأكادية وأية لغة سامية أخرى فيمكن في بنية جذر الكلمات. ففي اللغة السومرية جذر الكلمة هو عبارة عن مقطع أحادي لا يمكن تحويره إلا بإضافة أدوات تصدير أو إشارات لاحقة في حين أن الجذر السامي هو عبارة عن كلمة مجردة تتألف في أغلب الأحيان من هيكل مكون من ثلاثة أحرف صامتة تضاف عليها حروف العلة أو حروف صامتة. وذلك بشكل متناوب مع أحرف صوتية، وهكذا فإنه يمكن استعمال الجذر الأكادي (KRB) الذي يعني «البركة -

استعملت الكتابة المسمارية خلال ٣٣٠٠ سنة (وذلك اعتباراً من ٣٢٠٠ قبل الميلاد)، وقد أدى تطورها خلال هذه السنين إلى جعلها مرنة وسهلة الاقتباس بالنسبة لمختلف اللغات ومنها الأكادية. في حقيقة الأمر، تنتمي اللغة الأكادية إلى مجموع اللغات السامية حيث يمكن تصنيفها في نفس المجموعة اللغوية التي تنحدر منها اللغات الآرامية والعربية والفينيقية والعبرية.

وقد اخترعت الكتابة المسمارية، أو بالأحرى بدايات هذه الكتابة، في بلاد ما بين النهرين الجنوبية حوالي ٣٢٠٠ قبل الميلاد، وربما تحديداً في موقع الوركاء خلال المرحلة الأخيرة من الفترة التي يطلق عليها علماء الآثار فترة الوركاء الحديثة. في الحقيقة، تعتبر هذه الفترة مرحلة فريدة من تاريخ البشرية كانت عبارة عن مرحلة انتقال سريع في المجال اللغوي، حيث يمكننا أن نفترض وجود نسبة عالية من سكان تلك المناطق الذين يتقنون لغتين أو أكثر، مع العلم أنه ليس من الضروري في منطقة جغرافية معينة أن تكون اللغة المكتوبة هي نفسها اللغة المحكية.

ليس بحوزتنا معلومات دقيقة عن تاريخ اندماج اللغة المحلية مع الكتابة، ويعتقد أن هذه العملية قد تمت حوالي عام ٢٦٠٠ قبل الميلاد عندما بدأت تظهر النصوص الأدبية بأعداد متزايدة. ولم يعد هنا أي شك حول اللغة المستعملة على الرقم الطينية. لكن ما هو ثابت أن بقاء تداول اللغة السومرية قد أخر استعمال اللغات الأخرى بشكل كامل، وعلينا أن نتظر بداية الألف الثاني كي تظهر وحدات لغوية متكاملة وهذا يتزامن بطبيعة الحال مع زول استعمال اللغة السومرية كلغة شعبية مع بقاء تداولها في مدارس الكتبة والمعابد.

لا بد من الإشارة إلى أن فهم النصوص الأدبية الأولى التي وصلتنا ليس بالأمر الصعب لكن إعادة تكون طبيعة اللغة المستعملة أمر مستحيل نظراً لمحدودية استعمال اللغة في ذلك العصر، فلم

الصلاة» لتشكيل عدد من الكلمات والمعاني: (Karabu) تعني «بارك»، (takrub) وتعني «أنت باركت»، (ikribu) وتعني «الصلاة المباركة». أما طريقة تدوين هذه الكتابة فقد استعمل كتبة الفترة البابلية النظام المقطعي، وهكذا فقد كتب الفعل (takrub) «تُبَارِك» بواسطة أربعة مقاطع على النحو التالي:

(ta-ak-ru-ub). وهكذا أصبح باستطاعة الكتبة اعتباراً من منتصف الألف الثالثة قبل الميلاد كتابة الأكادية وحتى السومرية بشكل مقطعي وذلك بالاستعانة بحوالي ١٥٠ رمزاً.

وقد تبين منذ عدد من السنين أن اللغات السامية بما في ذلك الأكادية قد دوت قبل اختراع النظام المقطعي وهذا ما تؤكد بعض النصوص السابقة لعصر صرغون الأكادي والتي كتبت باستعمال مقاطع رمزية سومرية.

أما خلال العصر الصرغوني فقد أصبحت اللغة الأكادية هي اللغة الأهم وقد تعايش في الجنوب الرافدي مع اللغة السومرية وكانت اللغة المستعملة في الرسائل والإدارة وأصبحت فيما بعد لغة المنقوشات الملكية والكتابات الهامة.

بالمقابل خلال فترة حكم سلالة أور الثالثة الذي استمر من عام ٢١١٢ وحتى ٢٠٠٤ قبل الميلاد فقد عادت السيطرة للجنوب والوثائق الإدارية والاقتصادية التي وصلتنا دوت بشكل كامل في اللغة السومرية مع وجود بعض النصوص القليلة المدونة باللغة الأكادية وهذا لا يمكن تفسيره إلا عبر الإرادة الكامنة خلال هذه الفترة في جعل الإدارة مركزية وتطبيق عدد من الإجراءات والقيود الحسابية في مناطق أساسية من الدولة.

لا بد من الإشارة إلى أنه قد وصلتنا مجموعة هامة وكبيرة من النصوص العائدة لتلك الفترة المكتشفة في عدد محدود من المواقع والمدن الواقعة في المناطق الجنوبية في بلاد الرافدين، بالمقابل فإن حجم المعطيات المكتشفة في مناطق الشمال ضئيل جداً لكنه يؤكد أنها كانت مستعملة إلى جانب السومرية.

عند سقوط سلالة أور الثالثة في حوالي ٢٠٠٤ قبل الميلاد بدأ الدور الطليعي للكتابة السومرية بالتدهور، وبالرغم من بقائها لعدد من الأجيال فإن الأكادية أصبحت اللغة الأساسية واستعملت بشكل كامل في الإدارة والأعمال والتجارة ونستطيع أن نؤكد أن آخر رسالة حررت في اللغة السومرية تعود بشكل تقريبي إلى عام ١٩٣٠ قبل الميلاد.

تطور مبدأ الكتابة المقطعية في تسجيل اللغات السامية، بشكل يسمح بإجراء تغيرات خلال تاريخ الاستعمال الطويل للكتابة المسمارية لكن هذا لا يعني أن استعمال المقاطع الرمزية الأقدم قد زال بشكل كامل، على العكس تماماً فقد استعملت الطريقتين للوصول إلى نتائج ناجعة.

أما بالنسبة لاستعمال الكتابة المقطعية مع المقاطع الرمزية فقد كان يتباين حسب الحاجة التي يتطلبها النص أو طبيعة المواد المدونة والفترات الزمنية التي حررت فيها. وعلى سبيل المثال كان يتوجب على أحد كتبه مدينة بابل في حوالي ١٨٠٠ قبل الميلاد استعمال حوالي ١٥٠ مقطعاً بالإضافة إلى عدد من المقاطع الرمزية لتحرير رسالة لأحد رجال الأعمال، في حين كان بحاجة لعدد أكبر من المقاطع الرمزية لكتابة كشف حساب بسيط. بالمقابل فقد كان يتوجب على علماء وكتبه النصوص الأدبية في الفترة الآشورية (الألف الأول قبل الميلاد) معرفة الكثير من المقاطع والرموز لإتقان وكتابة وقراءة العدد الأكبر من النصوص.

بشكل عام استعملت المقاطع لكتابة النصوص الأدبية الأكادية العائدة إلى الألف الثاني قبل الميلاد، في حين استعملت المقاطع الرمزية في الألف الأول، وهذا أدى إلى ازدياد عدد رموز المقاطع بشكل كبير، وبذلك اختلفت اللغة الأكادية الأدبية عن باقي اللغات السامية وأصبح المواطن العادي يستعمل الآرامية في الشارع والأسواق في حين نشأت نخبة مميزة من الكتبة تتقن السومرية والأكادية القديمة وتحافظ على التقاليد الأدبية.

الكتابة المسمارية في موقع تل بيدر: روابط ثقافية وتعبير محلي

و. سالابيرجيه

تعريب: إ. سنديان

ونصوص جنوب بلاد ما بين النهرين العائدة للفترة التاريخية ذاتها. كذلك تكشف صلة ثقافية وثيقة بين تل بيدر وبلاد ما بين النهرين تناقض الإنجازات المحلية والمعاصرة إلى حد ما في موقع إبلا، وتتمثل الخصوصية المحلية للكتابة في موقع تل بيدر، والتي تستخدم لكتابة نصوص قديمة مغايرة بلغة أكادية قديمة، في ثقافة أدبية مبتكرة ماتزال أماكن إنتشارها غير معروفة حتى الآن.

مع إكتشاف ١٦٥ رقيم مسماري في موقع تل بيدر (الحسكة)، حصلنا ولأول مرة على نصوص ماقبل صارغونية من الجزيرة السورية. وهذه اللقى لم تشكل مفاجأة حقاً، إلا أن التنقيبات الأخيرة أظهرت المزيد من الأهمية الثقافية لمنطقة الخابور الأعلى في تلك الفترة. أما ما كان غير متوقع - البتة - فهو ذلك التشابه الواضح بالإشارات والمقاطع اللفظية والكتابية بين نصوص تل بيدر

النصوص المسمارية

في ماري خلال عصر السلالات القديمة

د. شاريان

تعريب: إ. سنديان

ونقع على التقوم المستخدم في النصوص المأخوذة من مجموعة كاملة لمواقع أخرى من إيلّا إلى أريحا، إن علم دراسة المستندات القديمة وعلم قراءة النصوص القديمة سمحا لنا بتأريخ هذه النصوص في نهاية السلالة القديمة الثالثة، ومن وجهة نظر تاريخية، نعتقد بأنها سبقت قليلاً فتح صارغون الأكادي بحوض الفرات الأوسط.

زوّدنا موقع ماري بنصوص لنموذجين استدلالين من عصر السلالات القديمة: الأول لبعض تماثيل نذرية مكتشفة في المعابد، والثاني لحوالي ٤٠ رقيماً إدارياً، وكلها اكتشفت في خمسة مواقع مختلفة (منها العصر ما قبل الصارغوني P. 1). ومع أن الرقم كتبت بشكل أساسي بواسطة رموز الكتابة السومرية، إلا أنها تضمنت عدداً ما من العبارات السامية.

انتشار الكتابة في سورية: إبلا

ل. ميلانو

تعريب: ي. الكعك

حضاري، وبين الوثائق المنقوشة التي عثر عليها في هذا الأرشيف، تطورت الثقافة الكتابية الإبلائية بحيث كتبت بخطوط مميزة. لقد تطابق - فعلياً - نظام الكتابة الإبلائية في الأرشيف الإداري وبشكل كبير - من وجهة شكلية - مع نظام الكتابة في العصر ما قبل الصارغوني.

ومع ذلك كان فهرس الإشارات أكثر إختصاراً، وكانت القيم الصوتية هي أكثر تخصصاً وفقاً للنظام الصوتي الإبلائي، ولكن قبل كل شيء، كان الإستخدام الخطي للنسخ يتميز باعتماد مختصرات وإشارات مركبة وقيم رمزية لم تطابق نماذجها أبداً. وبذلك يكون النسخ قد تعلموا الكتابة وفق قاعدة الفهرس المعجمي الذي كان مستخدماً في بلاد الرافدين في فترة السجلات القديمة، والذي تم إجراء تعديلات عليه حسب معايير تتناسب مع حاجاتهم الخاصة. يلاحظ هذا التطور في عدة نصوص ذات الطبيعة المدرسية «قائمة الإشارات»، قوائم معجمية «وحدة اللغة» بالسومرية، وفي ثنائية اللغة «سومرية - إبلائية». كانت قائمة الإشارات تتضمن كتابة بإشارات سومرية، هذا ماله أهمية كبيرة، ليس فقط لمعرفة اللفظ المستخدم بشكل عام من قبل الإبلانيين الذين كانوا يتعلمون قراءتها وكتابتها، ولكن أيضاً لتحديد اللفظ السومري، الذي لم نعرفه بشكل آخر إلا من خلال نصوص أكثر حداثة.

أما بالنسبة للمفردات ثنائية اللغة، فإنها تقدم لنا معلومات حول المعاجم الإبلائية، وأيضاً حول التقاليد النسخية، إذ أن النسخ الإبلانيين قد إبتعدوا عن تقاليد النسخ الرافدين، أكثر بكثير مما فعله نسخ ماري، أو بيدر، فالكتابة قد وصلت إلى هنا بشكل أكثر مباشرة، على طول الطرقات التجارية الشمالية التي كانت تتبع مجرى الفرات والخابور.

إننا نجهل، فيما إذا جرت تحولات جذرية في إبلا إبان توسع

إن إكتشاف المحفوظات الإدارية في القصر الملكي في إبلا (تل مردوخ). الذي جرى ما بين ١٩٧٤-١٩٧٦، قد فتح فصلاً جديداً في معرفتنا لسورية خلال الألف الثالث ق.م، كان لهذا الكشف أثر كبير وحاسم، ليس فقط بسبب المعطيات التاريخية التي يمكننا الوصول إليها، ولكن أيضاً بسبب المعلومات التي يقدمها لنا حول تاريخ الكتابة المسمارية.

لقد كتبت هذه الرقم، في الواقع، وفق سمات مشابهة للتي إبتكرت للكتابة المسمارية قبل حوالي ألف سنة في بلاد الرافدين الجنوبية. قبل إكتشاف إبلا، كانت قد إكتشفت رقم مسمارية أقدم بقليل في ماري (تل الحريري)، ولكن كان وجود كتابة مسمارية على طول الفرات أمراً أكثر توقعاً مما في إبلا التي تقع بعيداً عن النهر. وقد أيد الإكتشاف الجديد لنصوص تل بيدر، التي تم تأريخها بحوالي ٢٤٠٠ ق.م، نظرية إنتشار الكتابة المسمارية باتجاه الشمال، ومع ذلك تبقى حالة إبلا معزولة، وشاهداً فريداً على استعمال الكتابة المسمارية إلى الغرب من الفرات في فترة ما قبل الصرغونية. وبذلك يمكننا طرح السؤال لمعرفة متى وكيف تم إختيار الكتابة المسمارية في إبلا، وماهي التعديلات الضرورية التي طرأت على اللغة السامية المحلية المدعوة (الإبلائية).

إنه من المؤكد، من الآن فصاعداً، بأن إدخال الكتابة المسمارية إلى إبلا تزامن مع المرحلة الأقدم، من إعمار الموقع. إذاً يمكننا التسليم بأن بداية تطور الكتابة المسمارية الإبلائية، قد تم في المرحلة الأخيرة من عصر البرونز القديم III (حوالي ٢٦٠٠ ق.م). لقد شهدت سورية خلال تلك الفترة تطوراً سريعاً نحو التمدن، وبمقتضى الضرورات الإدارية والحسابية غدت الكتابة المسمارية في ذلك الوقت واحدة من الوسائل التقنية والثقافية، التي لاغنى عنها لإقامة صلات دولية.

خلال الثلاثة قرون التي إنقضت ما بين ولادة إبلا كمركز

الإمبراطورية الأكادية، حتى أنها مست التقاليد الأدبية والتي فرضها الحكام الأكاديون على كافة مناطق أواسط الرافدين، إلا أننا نعلم العكس، فمنذ بداية الألف الثاني قبل الميلاد، ومع إنتشار السلالات العمورية في سورية وبلاد الرافدين، كانت إبلا، من وجهة نظر كتابية وثقافية، تشكل جزءاً من «عالم مسماري» متجانس أكثر من الألف الذي سبقه.

التطبيقات الإدارية: فن حفر الأختام والكتابة

ي. قويت + ج. برتشنايدر

تعريب: ب. زهدي

وظيفة «علاقة الملكية» وذلك قبل إبتكار الكتابة، فكان بالنسبة للمالك واسطة لتثبيت شرعية ملكه، وإن أمثال هذه الأختام قد وصلت في نهاية الألف الرابع قبل الميلاد إلى درجة عالية من الدقة في الطراز. ولكن بظهور الختم الإسطواني في نفس العصر، أخذ استخدام الخاتم بالزوال لعدة آلاف من السنين.

لقد ظهر الختم الإسطواني مباشرة قبل إبتكار الكتابة المسمارية، ومثل الخاتم، فإن الختم الإسطواني قد استخدم لتوثيق مختلف الأشياء والوثائق. وزُودت أقدم الرقم المكتوبة بسرعة كبيرة بطبعات أختام إسطوانية، وانتشرت الرقم المسمارية والأختام الإسطوانية معاً. وهذا ما أمكن ملاحظته في المستوطنة التجارية (حبوبة كبيرة) في شمالي سورية، والتي كانت ذات صلات مباشرة مع مدينة (أوروك) في بلاد ما بين النهرين الجنوبية.

لقد دلت سابقاً النصوص البدائية في أوروك على أن التنظيم الإداري معقد بعض الشيء، ولكن قبل هذه الرقم والتي مهدت لتنظيم وظيفي. كانت الأختام تستخدم لمراقبة البضائع والخدمات، كما هو الحال في يومنا في الإدارة العامة والخاصة.

وكانت السلطات تضع علامة على الأموال والوثائق وهي بذلك تثبت الشرعية وتراقب التصدير والإستلام والنقل. كانت البضائع التجارية محمية بالأختام ضد كل تملك غير شرعي، والجرار والصناديق كانت تُغلق من قبل المصدر، ومن ثم تلصق عليها بعدئذٍ قطعة طينية عليها ختم المصدر، وكان المستلم الشرعي هو من يحق له كسر طبعة الختم، وغالباً ما كان البيع والتصدير أو تسليم البضائع أيضاً مصحوباً برقيم، كان بدوره مهموراً، وعليه مبلغ العقد محسوباً.

بعد حضارة أوروك، الحضارة المحددة من عدة وجوه، أي خلال العصور التي تلتها - فترة حكم السلالة البدائية والعصر الأكادي، وهي الفترة الممتدة بمجموعها خلال معظم الألف الثالث ق.م.

بعد استخدام الأختام أحد الإبتكارات الأكثر أهمية في حضارة بلاد ما بين النهرين بعد إبتكار الكتابة. تتجلى أهمية هذه الأختام في العديد من المطبوعات التي كرسها الآثاريون ومؤرخو الفن للعديد من الأختام وطبعات الأختام وصورها المتنوعة، من حيث الطراز والزخارف التي صُوّرت عليها. بدون أدنى شك، تمثل هذه الأختام مصدراً أساسياً لدراسة علم صور الشرق الأدنى القديم، ومنجماً من المعلومات عن الميثولوجيا والديانة وعن الحياة اليومية أيضاً.

إلى جانب الدراسات المتعلقة بشكل أساسي بعلم الصور، لقي في السنوات الأخيرة المظهر الوظيفي لطبعات الختم اهتماماً خاصاً. وإذا كانت الإدارة والتجارة المعاصرة استخدمت وثائق ممهورة، وبضائع مختومة، فإن العصور القديمة أيضاً كانت تستخدم الأختام لتثبيت شرعية البضائع أو الوثائق عند تصديرها، استلامها وتخزينها. ظهر الختم أيضاً وقته كحماية فعالة ضد الممارسات غير الشرعية، وكانت الرقم المسمارية مغطاة بطبعات ختم، وذلك في معظم الأوقات قبل كتابتها. إن تطور التنظيم الاجتماعي نحو البيروقراطية المتنامية من جهة، وتوسيع العلاقات التجارية من جهة ثانية اقتضيا وجود محاسبة معقدة أكثر فأكثر، وهكذا غدت العلاقة بين الأختام والنصوص أساس التقنيات البيروقراطية.

استخدم في الشرق الأدنى نوعان من الأختام هما: الخاتم، والختم الإسطواني، والخاتم هو الشكل الأكثر قديماً، والذي دام زمناً أكثر، وهو الأكثر إنتشاراً. أما استخدام الختم الإسطواني فهو معاصر للكتابة المسمارية أوسبقها بقليل، وإن هبوط شعبيته وزواله النهائي لمصلحة الخاتم كانا متوازيان مع الإستبدال التدريجي للرقم الطينية بالرق.

وكانت أختام عصور ما قبل التاريخ تطبع ربما على سدادات من الطين التي تغلق جرار الخزن. وهكذا فإن الخاتم عبّر قديماً عن

كانت الرقم الممهورة نادرة. وحتى في الوثائق المكتشفة في تل بيدر، والتي تعود إلى نهاية السلالة البدائية، لا يظهر حتى الآن فيها أي رقم عليه طبعة ختم. وبالمقابل، فإن أبواب وجرار الخزن كانت ممهورة غالباً بخاتم أو ختم اسطواني، وكان هذا الإجراء يضمن سلامة البضائع التي تخص الوحدات الاقتصادية الكبيرة مثل المعبد أو القصر.

عثر في تل بيدر على العديد من نماذج الأختام التي عليها آثار مرئية للأشياء التي مُهرت بها، وقد عثرنا على طبعات حبال وسدادات ومنسوجات وجلود وخيزران وألياف من الخشب. وإن مكان الإكتشاف يتدرج من البيت الخاص إلى المبنى الرسمي والإداري والاقتصادي. الأختام كانت عديدة، تهر بها أبواب المخازن بهدف منع الدخول إليها، ولإخطار اللص المحتمل بأن الموظف المراقب، هو مسؤول عن سلامة أمكنة التخزين. إن دراسة مفصلة للطبعات تسمح بتحديد مختلف أشكال الإغلاق.. لقد أكتشفت طبعات أختام مُهرت على عنق أو سطح جرار الخزن في مبنى إداري كبير، الذي كان من المحتمل أنه يستخدم كمخزن رسمي. وفي هذا المكان كانت توضع البضائع التي كانت ملكاً للكيان الاقتصادي المركزي. وهناك قطع طينية أخرى تمثل على خلفها آثار واضحة لحقائب مغلقة بحبل أو أيضاً طبقة سلال الخيزران، وعلاوة على ذلك عثرنا على عدد من القطع الطينية الممهورة، التي كانت تستخدم كبطاقات مثبتة لحقبة بواسطة حبل، نوعاً ما مثل الوقت الحاضر، حيث يُستخدم قرص رصاصي لضمان إغلاق الحقبة. وكانت الأختام أيضاً تدور مباشرة على عنق الجرة قبل الشئ، أو على السنة، أي نطاقات طينية دقيقة كانت توضع على الأواني. وكل هذه التطبيقات ملاحظة في تل بيدر.

بعد غياب الرقم الممهورة تقريباً أثناء عصر السلالة البدائية والعصر الأكادي، فقد عثرنا على رقم ممهورة في نحو نهاية الألف الثالث قبل الميلاد، وفي عصر سلالة أور الثالثة عندما أعيد تنظيم الطراز الإداري ليغدو بيروقراطية واسعة ومعقدة، فإن الرقم كانت من جديد مغطاة بطبعات أختام، وهذه الطبعات كانت تستخدم لضمان دقة وأصالة الوثيقة. وكانت بيروقراطية عصر سلالة أور

الثالثة ذات سفسطة متطرفة، وكما كان حال العقود التجارية والأوامر الإدارية توضع خطياً، وتنفيذها ذاته يوجد الرقيم، الذي كان في الغالب، ممهوراً بأختام شهود. ويستنتج أنه من هكذا إجراء بسيط يمكن أن ينتج عدداً كبيراً من الوثائق المكتوبة مما كان يثقل أيضاً إدارة هذا العصر.

وفي العصر البابلي القديم الذي تلى، كانت العقود التي تتطلب بشكل خاص مسؤولية متبادلة، مثل عقود الزواج، والوراثة، وإقتسام الملكية والمنازعات الحقوقية هي التي تثبت استخدام الأختام بشكل رئيسي. ويمثل النص قراراً مكتسباً، وهذا هو سبب تدوينه في الماضي، وكونه يمثل بروتوكولاً يُتلى بحضور عدد من الشهود إلى جانب الفرقاء. وإن أختام كل هؤلاء الأشخاص يمكن أيضاً تمريرها على الرقيم. ويصادف في العصر البابلي القديم تقليد جدير بالملاحظة، بشكل خاص: وهو أن الرقيم لعدد من نماذج العقود كان يوضع في ظرف كتب عليه نفس النص، وهذه الطريقة كانت ضماناً ضد الغش.

وفي نهاية الألف الثاني قبل الميلاد نلاحظ ظهور طبعات أختام على الرقم المسماة، إلى جانب استخدام وسيطة دائمة للختم الإسطواني، وفي عصر يتميز بالعديد من الإتصالات الدولية بخصوص القضايا المتنازع عليها أو المتفق حولها، ليس غرباً - كما يشاهد بشكل خاص عند التوسع الحثي في سورية - أن يكون هناك استخدامات خاصة تتعلق بالأطراف متداخلة مع التقليد النموذجي لبلاد النهرين. ولدى الملوك الحثيين في الأناضول، فإن الخاتم قد أزال الختم الإسطواني كما تدل على ذلك وثائق إيمار في سورية، حيث كان يستخدم الختم والخاتم في آن معاً.

وفي الألف الأول، وبشكل أدق، منذ العصر الآشوري الجديد، يلاحظ عودة الخاتم إلى الظهور ببلاد ما بين النهرين أيضاً بعد هيمنة الختم لآلاف من السنين، وفي النصف الثاني من الألف الأول قبل الميلاد عندما أخذ الرق يحل شيئاً فشيئاً محل الرقم الطينية كدعامة الكتابة. غدت الأختام الإسطوانية أيضاً مهجورة، فأخذ الخاتم مكانه السائد لأنه يمكن طبعه بسهولة أكثر على القرص الطيني المثبت على الرق، كما سيكون الحال أيضاً بالنسبة للشمع في العصر الوسيط بل وفي أيامنا هذه.

الكتابة المسمارية الكلاسيكية في الألف الثاني قبل الميلاد

ك. فان ليربيرج
تعريب: م. المقدسي

أشوننا وآشور في القرن التاسع عشر قبل الميلاد (راجع Charpin 1995: p. 813). وقد ترسخ استعمال البابلية القديمة بعد فتوحات الملك شمشي آدر الأول وقد شهد على ذلك مجموع الرقم المكتشفة في تل ليلان (Ismail 1991) وشاغار بازر (Talon, 1997) وموقع كازاتي هويوك في منطقة أورفه/حران).

الحوريون، قوة جديدة في شمال سورية:

لقد كان اكتشاف أوركيش العاصمة الدينية للحوريين في موقع تل موزان هو الحدث الأهم في الأبحاث الأثرية التي نفذت حديثاً في سورية. في حقيقة الأمر إن نسبة هطول الأمطار العالية في الشمال السوري قد جذبت في بداية الألف الثاني قبل الميلاد عدداً من المجموعات البدوية مما أدى إلى استقرارها وقيام العديد من الحضارات.

وقد أسس الحوريون وإلى جانبهم الميتانيون مملكة هامة اتصفت باستعمال لغة خاصة في كتابة النصوص الميتولوجية والملاحمية والطقوسية والعلمية (راجع بالنسبة لتاريخ المنطقة Wilhelm 1989) وأما بالنسبة لأرشيف مدينة نوزي، راجع (Owen 1981).

الامبرطورية الآشورية الأولى والكتابة:

لقد أدت الحفريات التي نفذت مؤخراً في المواقع السورية العائدة إلى نهاية الألف الثاني قبل الميلاد إلى الكشف عن العديد من النصوص الهامة المؤرخة في الفترة التي يطلق عليها بالفترة الآشورية الوسطى وقد أعطتنا الرسائل المكتشفة في مواقع تل

ملوك آموريون وتجار آشوريون في بداية الألف الثاني:

لقد أثرت التغيرات السياسية والثقافية التي حدثت في مناطق الشرق الأوسط مع بداية الألف الثاني قبل الميلاد على نشر وتطور الكتابة، ولعب الآموريون الدور السياسي الأهم في المنطقة بالإضافة إلى وجود عدد من المجموعات البشرية المفردة التي شكلت وحدات مستقلة لها حاكمها المحلي.

أما في سورية فقد سيطر الآموريون على أغلب المناطق وقاموا بتأسيس ممالك صغيرة وكبيرة على أنقاض الأمبراطورية السومرية الحديثة. وقد كان اتصال هذه المجموعات البدوية مع المجتمعات المتحضرة والمتقدمة من النواحي السياسية والاجتماعية الأثر الأكبر على ثقافة القبائل الأمورية التي تبنت الكتابة المسمارية والمصطلحات القضائية والإدارية السومرية والأكادية وبذلك أصبحت اللغة الأكادية القريبة من الأمورية هي اللغة الأساسية التي استعملتها المجتمعات الأمورية.

انتشار وتنوع اللغة والكتابة عند الآموريين والآشوريين:

انقسمت اللغة الأكادية خلال الألف الثاني قبل الميلاد إلى لهجتين رئيسيتين: البابلية القديمة والآشورية القديمة، وقد أعطت الحفريات الأثرية التي نفذت في سورية وثائق محيرة باللهجة البابلية القديمة بالرغم من وقوع بلاد آشور على مقربة من المراكز والمواقع السورية.

وقد استعملت اللهجة البابلية القديمة في مناطق الجزيرة العليا والخابور والفرات الأوسط وهذا يعود إلى الأحداث السياسية التي نتجت عن الإجتياح العسكري الذي قام به نارام سين في مناطق

الشيخ حمد، تل الخويرة وتل الصبي الأبيض، وتل الفخيرية، تل برّي وتل براك فرصة هامة لدراسة طبيعة هذه الكتابة وعلى الخصوص مقارنتها مع الكتابات الرسمية التي اكتشفت في موقع تل بديري (راجع بهذا الخصوص - Maul 1995, Cancik - Kirschbaum 1996).

وقد اظهرت عملية المقارنة بين الكتابات الضخمة المحررة بالبابلية القديمة (قانون حمورابي) ورسائل مدينة سيار مع الرسائل المحررة بالآشورية القديمة استعمال الكثير من الصيغ القديمة في الرسائل المحررة بالآشورية المتوسطة وعلى الخصوص في الكتابة المقطعية العائدة إلى نهاية الألف الثاني قبل الميلاد.

الكتابة الهيروغليفية في سورية:

استعملت الدول الحثية الجديدة المشكلة حول كركميش وفي

مناطق تل برسيب في حوالي ١٢٠٠ قبل الميلاد الكتابة الهيروغليفية لتحرير النصوص الهامة المنقذة على الحجر. وهذا ليس بالمستغرب حين نعلم كثافة وجود هذا النوع من النصوص في الأناضول والمناطق التي كانت تحت سيادة الحثيين وفي هاتوشا. لكن الأمر الهام والمستغرب هو استعمال الهيروغليفية بدلاً عن المسمارية في مناطق سورية الشمالية في كتابة السبائك الرصاصية بالإضافة إلى الرسائل والعقود.

اللوقية هي اللغة التي كتبت فيها هذه النصوص الهيروغليفية وهي عبارة عن لغة هندو-أوربية قريبة جداً من الحثية المستعملة في هاتوشا. لا يمكن تفسير ظاهرة استعمال هذه اللغة في شمال سورية إلا من خلال وجود جماعات هندو-أوربية كانت متواجدة زمن تأسيس الدويلات الآشورية الحثية (راجع بهذا الخصوص Hawkins 1995).

أوغاريت موطن أقدم الأبجديات

م. ديدتريش

تعريب: م. المقدسي

١ - الأبجديات المسمارية الأوغاريتية نتاج تاريخ متشعب:

تمكن الأثري الفرنسي كلود شيفر بين عامي ١٩٢٩ و ١٩٣٠ من الكشف بين أطلال موقع رأس الشمرة/أوغاريت في الشمال السوري إلى الغرب من مدينة اللاذقية، عن مجموعة من الرقم المسمارية العائدة للقرنين الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد.

بالمقابل استطاع العالمان الألماني هانس بوير والفرنسي إدوار دروم من دراسة هذه الرقم والكشف على أنها تنتمي إلى تقاليد في الكتابة المسمارية تختلف بشكل جذري عن الأسلوب الرافدي، حيث تضم ثلاثين إشارة مختلفة وبالتالي فإنها عبارة عن نظام كتابي أبجدي جديد وغير معروف. بالمقابل فقد أثبتت مقارنة هذه اللغة مع باقي اللغات المعروفة في سورية وفلسطين على أنها تنتمي إلى عائلة اللغات السامية وهي عبارة عن لهجة قريبة من النصوص الكنعانية المعروفة لدينا، في حين أنها أقرب ما تكون إلى اللغة العربية من الناحية الصوتية اللفظية.

مكتنتا الرقم المدرسية المكتشفة في عام ١٩٤٩، والتي تحمل إشارات مرتبة بتسلسل أبجدي من الحصول على أقدم شاهد عن أبجدية محررة من قبل الأوساط الأدبية والتي سبقت الأبجدية الفينيقية وتزيد عنهما بثمانية أحرف. وقد تم العثور بالإضافة إلى النصوص المكتوبة بهذه الأبجدية المؤلفة من ثلاثين حرفاً على نصوص محررة اعتباراً من أبجدية مختزلة تتألف من اثنين وعشرين حرفاً تكتب مثل الكتابة الفينيقية من اليمين إلى اليسار وبذلك نستطيع أن نقول إن مدينة أوغاريت كانت تستعمل أبجديتين: الأبجدية المختصرة القريبة من الفينيقية والأبجدية الطويلة التي كانت تلبي حاجات اللغة الأوغاريتية.

أدت الأبحاث التي تمت حول أصول الأبجدية الأوغاريتية الطويلة من قبل العالم آ. ج. لوندن من سان بتيروبرغ ومن قبل كاتب هذه المقالة إلى التعرف على وجود رقم مسماري صغير يعود إلى

القرنين الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد اكتشف في عام ١٩٣٣ في موقع بيت شمش من قبل المنقب ي. غرانت. يحمل هذا الرقم تسلسلاً أبجدياً يبدأ بالأحرف ح، ل، خ، م وهذا شبيه بالتسلسل المكتشف في أبجديات اليمن واللهجات العربية الجنوبية العائدة إلى الألف الأول. من هنا نستطيع أن نقول إن الأبجدية المعروفة في المناطق العربية الجنوبية تعود لفترات أقدم مما عليه الآن ومن المحتمل أن تكون أصولها الأولى قد حررت على الشكل المسماري وعلى رقم طيني وفقاً للتقاليد البابلية.

وقد تم التأكد من وجود علاقة بين موقعي أوغاريت وبيت شمش بعد أن كشفت البعثة الفرنسية في عام ١٩٨٨ ضمن أرشيف التاجر أورتيونو نصوص حررت وفق تقاليد الأبجدية العربية الجنوبية، وبالتالي فإننا نستطيع أن نتصور وجود علاقة كانت قائمة بين أوغاريت والمناطق العربية الجنوبية، وبذلك نستطيع أن نقول أن الموقع التجاري المتميز لأوغاريت قد لعب الدور الأهم في الربع الثالث من الألف الثاني في تاريخ تطور الكتابة الأبجدية.

١ - لم تكن مدينة أوغاريت كما هو متوقع المكان الذي انجزت فيه الأبجدية بل تطور فيها المفهوم الأبجدي بين التقاليد الشمالية الغربية (أ - ب - ج) والتقاليد الجنوبية الشرقية (ح - ل - خ - م) وبذلك يمكننا القول أنها لعبت الدور الهام في التطور المتشعب لهذه الكتابة الأبجدية.

٢ - إن ظهور الكتابة الأبجدية المسمارية في أوغاريت يعكس بشكل واضح تطور الأبجديتين الشرقية المؤلفة من ٢٢ حرفاً العربية الجنوبية. والذي شكل في نهاية الأمر الأبجدية الأوغاريتية المؤلفة من ٣٠ حرفاً.

وهكذا يمكننا أن نفهم الدور التاريخي الذي لعبته مجموعات التجار الذين هاجروا نحو الشمال من المناطق الواقعة إلى الجنوب الشرقي من فلسطين تركوا في أوغاريت بصمات راسخة وثابتة في

٣ - ورتة الأبجديات الأوغارتية:

بعد سقوط العاصمة التجارية الأوغارتية في بداية القرن الثاني عشر قبل الميلاد واستبعاد السلالة الحاكمة التي كانت تستعمل الكتابة الأبجدية في الأدب المحلي، انتهت وبشكل كامل تقاليد استعمال الكتابة الأوغارتية المدونة على الرقم المسمارية. وبالمقابل تزايد استعمال الأبجديات الفينيقية والكنعانية الأولى والكنعانية القديمة في المنقوشات الضخمة وعلى الكسر الفخارية.

في حقيقة الأمر أجمع العلماء أن أقدم شاهد عن الكتابة الفينيقية هو النص الذي نقش على غطاء ناووس أحيرام الجبيلي المكتشف في عام ١٩٢٣ والذي يعود إلى حوالي ١٠٠٠ قبل الميلاد وهو يحمل الكثير من خصائص الكتابة الفينيقية المتأخرة بالإضافة إلى الآرامية القديمة والعبرية القديمة والبنونية وبذلك نستطيع أن نقول أننا أمام نمط كتابي شبه موحد استعمال في كامل المناطق الشرقية من المتوسط منذ نهاية الألف الثاني قبل الميلاد وانتشر في فترات لاحقة في مناطق واسعة حتى وصل إلى بلاد اليونان.

وخلاصة الأمر فإن الأبجدية الأوغارتية التي ابتكرت في النصف الثاني من الألف الثاني استخدمت خلال فترة زمنية قصيرة نسبياً لا تتعدى ١٥٠ سنة، وقد انتشرت في كافة أرجاء المتوسط اعتباراً من القرن الثاني عشر قبل الميلاد، ووصلت إلى ذروة اكتمالها في الأبجدية اليونانية في بدايات الألف الأول قبل الميلاد.

تاريخ الأدب والكتابة وذلك بنقل لغتهم الأصلية إلى مدارس الكتبة. وهذا أدى بدوره إلى انتشار الكتابة الأبجدية على مناطق واسعة وصلت إلى السواحل القبرصية (موقع هلا سلطان تيكه). أما هذه الكتابة الأبجدية المسمارية فتألف من مجموعة من الأحرف الصامتة والمشكلة والمستعملة في أغلب الأحيان بشكل متناوب وبالتالي فإننا نستطيع أن نلاحظ، وبشكل مباشرة تشكل مقطع لفظي يتألف من حرف صامت وحرف مشكل.

٢ - تباشير الأبجديات الأوغارتية

لا يمكننا أن نتبع بشكل واضح بدايات الكتابة الأبجدية لكن من المحتمل أن تكون أولى المحاولات قد تمت في المناطق الجنوبية من خلال الكتابات التي تعرف تحت اسم ما قبل السينائية أو كتابات سيناء القديمة. هذه الكتابة الصعبة نقشت بواسطة أحرف غير واضحة قد تكون هيروغليفية أو مقطعية، وهي مؤرخة ضمن شريحة زمنية فضفاضة تتأرجح بين القرن السابع عشر قبل الميلاد والقرنين الرابع أو الثالث عشر قبل الميلاد.

وبما أننا لا نمتلك معلومات واضحة عن أصول هذه الكتابة الأبجدية في المناطق التي استعملت فيها، فإنها من المحتمل أن تكون قد اقتبست في النصف الأول من الألف الثاني من الكتابة المصرية المبسطة التي تعرف بالكتابة الهيروغليفية.

النصوص الأدبية والمساهمة الثقافية

ف. تالون

تعريب: هـ. عمران

المواضيع التي كانت تثقل الآشوريين والبابليين بشكل دائم البحث عن إرادة الآلهة في العالم، فقد خلق إنسان ماين النهرين لخدمة الآلهة، والآلهة قوية، رغباتها ونزواتها قانون، ومصير الإنسان مرتبط بشكل كامل بأهواء الآلهة دون أن يسير لحكم خياره أي سبب ظاهري، فالإنسان السعيد هو ذلك الذي يرضاه الإله، وإذا كان وجه الإله متجهاً باتجاه إنسان ما فهو دلالة على رضاه عنه، أما إذا أدار الإله وجهه عن هذا الإنسان فستلاحق المصائب عليه تلقائياً، وليس هناك قواعد مبدئية لرضى الآلهة أو عدم رضاها، فهي تتحرك ضمن عالم خاص يجهله الإنسان، ويزداد الأمر مأساوية عندما يتعلق الأمر بالملك، فهو الصورة الفانية للآلهة على الأرض ويجسد الإزدهار في بلده، فإذا حصل على الرضى الإلهي أصبح بلده سعيداً أو غنياً، وإذا حاد عن الطريق الذي ينبغي أن يتبعه أو تخلت عنه الآلهة لسبب مجهول، فإن ذلك سيؤثر على بلاده وعليه بنفس القدر، ولذلك فمن الضروري بمكان للملك أن يجرب ويكل السبل التنبؤ بالرغبات الإلهية، فالآلهة الرحيمة ترسل بشكل دائم إشارات وتلميحات لها صلة بالمستقبل، وعلى الإنسان أن يحسن تفسيرها ويتصرف على أساسها، فجميع الأحداث في بلاد ماين النهرين يتم تأويلها، كالظواهر المناخية والفلكية والولادات الغريبة عند الحيوانات والبشر وتصرفات الحيوانات وطرق بناء المدن وحتى طريقة التحية في الشارع، لكن أكثر الطرق فاعلية في التنبؤ هي فحص أحشاء الخروف.

تعتبر أسطورة الخلق التي يسميها القدماء بالكلمات الأولى منها Enuma elis أي «حصل ذات مرة بالأعلى» من أجمل الأمثلة على الأساطير البابلية، وقد تم تأليفها في حوالي نهاية الألف الثاني ق.م، وهي ثمرة عمل الكهنة البابليين بإدخال كل التقاليد القديمة السومرية - الأكادية وجعلها في خدمة دين جديد، احتل

تفتقد بلاد الرافدين للسحر الذي يذهل الجمهور على عكس الآثار المصرية الضخمة والأهرامات والمعابد، ولا تتمتع سهول ماين النهرين الواسعة الكثيرة بالجاذبية التي تقدمها المواقع القديمة الأخرى في العالم، أما التلال الأثرية، فليس فيها سوى قطع من الآجر الأجوف في أغلب الأحيان، والتي من غير الممكن إعادة تشكيلها، وهي بذلك لاتسهل عمل المرمم، لأنها لاتتيح له استخدام خياله لتصوير شكلها السابق، كما تحبط الكتابة المسمارية أكثر الدارسين حماساً.

لكن الرقم المسمارية تعطي للباحث المُجَد الحيادي الواسع الأفق ثروة لاتعادلها إلا بعض اللقى الكلاسيكية. لقد أخرج الآثاريون منذ أكثر من ١٥٠ عاماً مئات الألوف من النصوص الممتدة على مدى ثلاثة آلاف عام، فكل يوم تكتشف رقم جديدة تغني معارف العلماء والتي هي في تطور مستمر، وبالتأكيد إن مليوناً من هذه الرقم التي بين أيدينا اليوم ليست من نمط متجانس، إلا أن أغلبها يتألف من وثائق إدارية جافة دراستها صعبة، لكن النتائج تسمح بتصوير الحياة الاقتصادية وبنى المجتمعات القديمة، وقد برع الكتاب الآشوريون والبابليون في أسلوب كتابتهم بإعطاء معاني متعددة لجملة، وقد نظم بعضهم قصيدة لمردوخ لمده آشور بانيال، تألفت من ثلاثين مقطعاً وأول رمز من كل مقطع يشكل جزءاً من جملة، وإذا قرئت الرموز الثلاثين معاً بشكل شاقولي تشكلت الجملة التالية: «أنا آشور بانيال الذي ناداك: أعطني الحياة يا مردوخ وسأقر بخصالك»، وهناك مثال أكثر تعقيداً حيث يشكل الرمز الأول والأخير من كل بيت جملتين مختلفتين إذا ماقرئت الرموز شاقولياً.

إن الآداب التي تصنف على أنها علمية ليست محددة بدراسة الكتابة فقط، بل تمتد إلى مجالات أخرى مهمة، كانت هي الأخرى موضع اهتمام سكان بلاد ماين النهرين، ومن أهم

فيه مردوخ المكان الرئيس حيث كان الإله الحامي لبابل، وقد كتب النص العظيم على سبع رقيعات، وينتهي بتمجيد مردوخ وتعداد أسمائه الخمسين السرية، وقد وصف مردوخ في هذه النصوص "اينوما ايليش" أنه ابن الإله "إيا" سيد الحكمة والذكاء والمياه العذبة، وقد تلقى من الآلهة الآخرين القدرة والقوة وأرسي نظام العالم.

وقد ذكر خلق الإنسان في العديد من الأعمال، بشكل متناقض أحياناً، لكن أغلبها يؤكد على أن الإنسان قد وجد على الأرض لخدمة الآلهة لتوفير أوقات فراغ وراحة لها ودون أن يهتم بوجوده الخاص، وقد وصف ذلك في أسطورة أتراحيوس Atrahosis الحكيم (وهو اسم آخر لـ إيا)، ففي البداية يقول النص (الرقيم I، ٦-١):

عندما كانت الآلهة مازال كالبحر

كانت تقوم بأعمال السخرة وتحمل العناء

كثير كان عمل الآلهة

وقاس كان عملهم، وكانوا يشعرون بالوحدة

السبعة الكبار أنوناكي Anunnaki

أثقلوا على إيجيجي igigi بالعمل

وقد قررت الآلهة الأقل شأناً (إيجي) إحراق أدواتهم، وذهبوا غاضبين إلى إنليل سيد مجمع الآلهة للاحتجاج، فجمع هذا الأخير المرعوب مجلس الآلهة الكبار لإيجاد حل، وكان "إيا" الحكيم هو الذي وجد الحل، فاقترح خلق كائن جديد لإنجاز العمل الذي رفضته الآلهة، وكلفت إلهة الخصب «نينتو» Nintu بعملية الخلق، لكن نفخ الروح في الطين كان يتطلب روحاً إلهية فكان لابد من قتل إله وخطط دمه بالطين لخلق الإنسان.

لقد وصلنا الكثير من الأساطير، ومن الصعب ذكرها جميعاً، لكن أكثرها إثارة للاهتمام تلك التي تتحدث عن الإلهة عشتار، إحدى الآلهة الأكثر تميزاً في مجمع الآلهة الآشوري البابلي، وقد كانت عشتار الإلهة الكاملة بحيث أصبح اسمها مرادفاً لكلمة ايلتو Eltu التي تعني الإلهة باللغة الأكادية، لقد كانت عشتار شخصية مثيرة دارت حولها أغلب الأساطير، وتميزت بعاطفتها الجارفة سواء أكانت محاربة أو عاشقة، وقد كانت أولاً ربة الحرب، وكان من الصعب توقع تصرفاتها، وكانت أسلحتها ضمانة لنصر الملك الذي تختار مؤازرته، وقد جذبت عبادتها مجموعة كبيرة من الأشخاص غير الطبيعيين منهم الشاذين جنسياً أو في أحسن الأحوال مضطربين

نفسياً، وكانت هي نفسها إلهة الحب، إلا أنه لم يكن لها سوى العشاق، فلم تتخذ زوجاً أبداً ولم يكن لها أطفال، ويجب أن نطلع على كيفية معاملة جلجامش لها عندما عرضت نفسها عليه في غابة الأرز:

«أنت لست سوى نار تنطفئ في الجليد، وباب لا يحمي لامن الهواء ولا من الريح».

لقد وعى السومريون الأكاديون العمق الزمني لحضارتهم وكنوا للماضي إحتراماً وإعجاباً بلا حدود، في حين لم تكن طبيعة المجتمع الآشوري البابلي فاعلة متجهة نحو المستقبل بل على العكس كان المجتمع منغلقاً نحو الماضي الذي كان يمثل الكمال. ولم يكن مفهوم التطور واضحاً، بل سيطرت فكرة أن كلية الوجود هي في العودة للنظام القديم، وإن كل معرفة تنبثق من الماضي، وخاصة من الفترة الأسطورية التي سبقت الطوفان عندما عاش، كما يقال، «العارفون» الكبار، مصدر الحكمة وعلى رأسهم الحكيم "أدابا".

لقد حافظ المؤرخون في بلاد ما بين النهرين على طريقة الجداول في التأريخ خلال فترتهم، لكن النصوص كانت مستوحاة إلى حد كبير من الفكر الملكي، بحيث كانت الملكية تنتقل من الآباء إلى الأبناء، والسلالات الحاكمة لم تكن معاصرة أبداً وخاصة في العهود الأكثر قدماً. ولا يمكن بأي حال من الأحوال الحديث عن النصوص "التاريخية" دون أن نرجع إلى حوليات الملوك الآشوريين، وهي نوع من الآداب تطورت عن النقوش التأسيسية التي كان ملوك ما بين النهرين يضعونها في أساسات المعابد والقصور التي يقومون ببنائها، وقد كانت هذه الوثائق بسيطة في البداية، تذكر اسم الملك ولقبه وتصف إنجازاته بإيجاز، وقد تطور هذا الأدب في آشور بدءاً من نهاية الألف الثانية وأصبح له شكل متميز حتى تجاوزت نصوص آخر ملوك آشور الحديثة في القرن السابع ق.م الألف سطر، وقد كتبت على قطع موشورية الشكل من الآجر يصل عدد وجوها في بعض الأحيان إلى إثني عشر وجهاً، واليوم غالباً ماتذكر هذه النصوص للدلالة على مدى عنف الجيوش الآشورية خلال غزواتها، ورغم أن بعضها يركز بشكل كبير على العقوبات القاسية ضد الجيوش المهزومة، إلا أنه يجب أن نرى فيها أيضاً التأكيد الفكري على سلطة الآشوريين على جيرانهم، فأشور لم تكن سوى مملكة صغيرة جداً مساحتها ضئيلة عندما شرعت بتطوير قوتها الحربية والسياسية الأمر الذي قادها في

النهاية أن تصل إلى مصر وإيران، كما سمحت قوة جيوشها ومزايا التفكير الاستراتيجي لبعض حكامها بمد نفوذها على أغلب مناطق الشرق الأدنى، وقد سخر الفكر الموجود في الحوليات لتمجيد أفعال الملك ولبيان التوافق التام بين شخصه وبين الإله الأعلى آشور.

لم يكن من الغريب، في هذا العالم المسير بالرغبة الإلهية، أن يذهب بعض الكتاب بتفكيرهم إلى حد بعيد، فهم عالجوا القضية الأخلاقية لعلاقة الإنسان بالآلهة، وقد كانت نتيجة أعمالهم غير متوقعة ومفاجئة، فقد أظهرت الأعمال الكبيرة استحالة معرفة التصرفات الإلهية وتوقعها وفهمها، فالدائرة الإلهية بعيدة جداً عن فهم الإنسان، ولا يمكن أبداً تحليل أفعال الآلهة بل يمكن إثباتها فقط، وتركز هذه الأعمال على فكرة القدرية وعلى الإنتظار والأمل بأن تقوم الآلهة بتغيير رأيها، وتظهر هذه الفكرة في قصة «Juste» Souffrant أو قصة «Théodicée» حيث يواجه الإنسان مصيره بعد أن تخلت عنه الآلهة كما يبدو، فماذا يفعل؟، ليس عليه سوى اللجوء إلى الصلاة والتصرف بشكل صحيح وأخلاقي، وأن يؤدي الشعائر بإخلاص ويبدو أن شيئاً من هذا لم يحصل، فالآلهة، وإن أدارت وجهها وسببت الألم، إلا أنها يمكن أن تغير رأيها لأسباب غير معروفة وأن تعيد حمايتها للمنبوذ.

تظهر الفكرة نفسها في القصور الملكية، فالملك، صورة الإله على الأرض، يمنح بركته أو يسحبها حسب مزاجه، وقد وصلتنا التماسات كُتِب بعضها بشكل مؤثر، من بعض رجال البلاط الذين نبذهم الحاكم، والذين حاولوا بالكتابة إليه أن يستعيدوا بركته ورضاه، إلا أن الأمر كان على الغالب دون جدوى.

تظهر الفكاهة في بعض القصص مثل قصة الرجل الفقير في نيسابور، وهو رجل لم يكن يملك سوى الأسماك التي عليه، وقد

اشترى عنزة عجوز، وذهب إلى الوالي ليتناول الطعام عنده، لكن الوالي طرده، فأقسم الرجل الفقير وكان اسمه جميل-نينتورا أن ينتقم بثلاثة أضعاف الإهانة، فذهب إلى الملك واستعار منه عربة مقابل مبلغ كبير من المال، وقبل الملك بدافع الفضول أن يعود الرجل إلى الوالي، وفي الطريق اصطاد عصفورين ووضعهما في صندوق، ولما وصل إلى القصر، لم يتعرف عليه أحد، فطلب مقابلة الوالي الذي عامله حسب مظهره المترفع، وخلال الليل حرر العصفورين، وفي الصباح أقام الدنيا مدعيّاً أن الذهب الذي كان موجوداً في الصندوق قد سرق وطالب الوالي بالتعويض، وأثناء خروجه عرّف عن نفسه قائلاً إن هذا هو انتقامه الأول، ثم تنكر في زي طبيب وعاد إلى قصر الوالي الذي كان يحتاج للعلاج بعدما حصل له، وقال الوالي لخاصته إن «هذا الرجل طبيب مشهور»، فادعى الرجل المتنكر «أن علاجه لا يثبت فاعليته إلا في الظلام حيث يمنع دخول الناس»، فدخل إلى غرفة خاصة مع الوالي حيث لا يوجد أصدقاء، حيث ثبت خمسة أوتاد في الأرض، قيد بها الوالي من يديه ورجليه ورأسه وأخذ يجلد من رأسه حتى قدميه، فأذاقه طعم الموت ألف مرة، ثم غادر القصر معلناً انتقامه الثاني، ولما أيقن أنه سيكون من الصعب عليه دخول القصر للمرة الثالثة، دفع لرجل أفقر منه ليذهب إلى القصر وينادي: «أنا الرجل صاحب العنزة»، فانطلق الحرس في إثره تاركين القصر دون حراسة، فدخل وجعل الوالي يدفع الثمن للمرة الثالثة.

نرى مما سبق أن ثقافة بلاد ما بين النهرين لم تكن متركزة فقط على قصص الغزوات والحروب، فالمواضيع التي تناولتها غنية ومتنوعة لا يمكن ذكرها كلها هنا، فخلال ثلاثة آلاف سنة تطرق الكتاب الآشوريون البابليون لجميع المواضيع وأغنوا وطوروا أدباً لا غبار عليه حتى عصرنا.

علم الكتابات القديمة: ماهي آفاقه؟

ك. فان ليريرج + ب. فامباك

تعريب: إ. سندان

تكمن إحدى الصعوبات التي يواجهها عالم النقوش في إنه يعمل في حقل التنقيب أو في متحف لمدة زمنية قصيرة جداً في حين أن نسخ الرقم باليد عمل يتطلب وقتاً طويلاً جداً. لهذا فقد طرحت الجامعة الكاثوليكية في لوفان، بتشجيع من عمديها الدكتور إ. آندريه أوسترلينك، مشروعاً يهدف لترميز صور الرقم المسمارية وتحسين نوعيتها، وذلك بفضل تقنيات معالجة الصورة، ونورد فيما يلي شرحاً مختصراً حول هذه التقنية الجديدة.

الحاسوب، راهب القرن العشرين

تكمن المشكلة التي نواجهها هنا في أنه ليس من السهل إجراء صور جيدة للرقم الطينية، حيث تكون الكتابة بارزة وذات لون واحد، لذا يجب أن يسلط الضوء على الرقيم من خلال نقطة ما، بحيث نحصل على ظلال في الأجزاء المنقوشة. وبهذه الطريقة فإن كافة أجزاء الرقيم لا تتلقى نفس الكمية من الضوء، وبهذا نحصل على قاعدة ليست ذات لون واحد. إضافة لذلك، فإن طبيعة الرقم غير المسطحة تسبب شيئاً من عدم الوضوح في المناطق خارج البؤرة، وبشكل خاص على انحناءات الأطراف.

وهناك خيار آخر يكمن في زيادة كمية الصور بعد التنقيب. وبهذا الخصوص، فإن استخدام الحاسوب يكون الخيار الأكثر وضوحاً. وتكمن التقنية المستخدمة في ترميز الصور بمساعدة الماسح الضوئي (سكانر) وتحليل ومعالجة الصور على الحاسوب وذلك للوصول للنتائج المرجوة. وعندما تظهر الصورة على الماسح الضوئي (السكانر) فإننا نستطيع تكبيرها وتصحيحها وتظهيرها... إلخ بمساعدة مختلف أشكال التحليل والبرمجة. تعرض النتائج المدهشة لهذه العملية على شاشة فيديو وعلى وثائق مطبوعة.

خصصت النصوص السابقة للحديث عن تطور الكتابة وانتقال هذا التراث الثقافي من سورية القديمة إلى مجتمعاتنا، ولكننا لم نخصص أي جزء لما يشكل أساس عمل المؤرخ أو عالم اللغة. أصبح بالإمكان فك رموز الكتابة المسمارية بفضل أعمال النسخ التي قام بها علماء النقوش الأوائل، ففي ٢٨ كانون الأول من عام ١٨٥٠، كان السير أ. هـ. لايارد يتسلق صخرة بافيان لنسخ النقوش المنحوتة في الصخر للملك الآشوري سخریب. أما الآن، فإن عمل عالم النقوش الحديث أصبح مفتقراً للتشويق وشبه ممل. في الواقع، يعتبر علم النقوش واحداً من التنقيبات النادرة التقليدية جداً والتي مازالت تحتفظ بأهمية رئيسية لنشر معطيات جديدة مكتوبة بين علماء الآشوريات في العالم بأسره.

كيف يعمل عالم النقوش؟

كما يفترض في راهب العصور الوسطى أن تكون لديه معرفة جيدة باللغة اللاتينية والإغريقية لكتابة المخطوطات، كذلك يجب على عالم الآشوريات الذي ينسخ الرقم أن يعرف مختلف اللغات المكتوبة بالمسمارية. إن الرقيم الذي يحمل مئات الإشارات المسمارية يجب أن ينسخ علامة إثر علامة مما يتطلب معرفة حوالي ٦٠٠ إشارة مستخدمة في كل الفترات التاريخية.

ولما كانت الكتابة المسمارية قد استخدمت في الشرق الأوسط بأكمله خلال ٣٠٠٠ سنة تقريباً، فقد طرأ على فهرس وقيمة الإشارات تبدل ملموس. نتج عن ذلك أن عالم النقوش يفسر النقوش بعد نسخها.

وبالنتيجة، فإن عملية النسخ المستخدمة في الوسط العلمي تعتمد على الموهبة الفنية لعالم النقوش، وفي هذه الحالة يكون المظهر الأصلي للقطعة الأثرية أي الرقيم غير مرئي عموماً من خلال تلك العملية.

ومن الممكن إرسال الصور المحسنة إلى مختبرات للطباعة، أو أن تُنقل بالبريد الإلكتروني إلى الباحثين المهتمين، كما يمكن أن تُبث على شبكة الإنترنت.

ومستقبلاً، سوف تُرمز هذه الرقم في موقع تل ييدر وذلك باستخدام كاميرا رقمية، مما يسمح بالتأكد من نوعية اللقطات

المأخوذة والحصول على أطراف أكثر وضوحاً، ويتم أخيراً إنجاز نسخ بسرعة أكبر وبموضوعية أكثر.

هذه النتيجة الجديدة موضحة في وامباك وماريان ١٩٩٦:

ص ١٩٥-١٩٨

وماذا بعد الكتابة؟

م. بروز + ف. تالون

تعريب: ي. الكجك

لقد مر نظام الكتابة المسماري مثلاً بمرحلة إختزال كبيرة، في الفترة البابلية القديمة (أنظر مساهمة ب. مشلاوسكي). ألم يكن من الواجب، أن تكون الخطوة اللاحقة مبسطة أكثر للوصول إلى الأبجدية المسمارية؟ ولكن على العكس، فقد شهدت القرون التي تبتعت الفترة البابلية القديمة، تعقيداً أكبر بكثير في نظام الكتابة، الذي أصبح بفضل الأدباء والمفكرين أداة رائعة لتطوير الفكر الترابطي. لقد وجد الفلاسفة البابليون والآشوريون، في كتاباتهم حتى في أقدم مراحلها أساساً لمعانٍ خفية، غريبة، دينية، أو فلسفية تمكنوا من إيضاحها، بعيداً عن البحث في جعل كتابتهم مبسطة أو جعلها شعبية، فقد جعلوا منها أداة خلق علمي.

اعتقدنا لفترة طويلة، أن ظهور وانتشار الأبجدية، كان يخص، بالضرورة، شعباً تعداد سكانه كبير، وإن نظام الكلام المقطعي، كالمسمارية، كان كما يقال، مخصصاً للنخبة، فهل كانت الحالة هكذا فعلاً؟

عندما نرى في النصوص المسمارية، العناية التي أولاها الحكام لمعرفة كل شيء يجري في مملكتهم، حتى في التفاصيل الأكثر تفاهة، فهل يمكننا فعلاً الدفاع عن فكرة بأنهم كانوا أميين؟ إن هذا غير وارد. إن معدل الذين (يفكون الخط)، خلال حكم الإمبراطورية الآشورية، يجب أن يكون أكثر من ذلك بكثير، فلا بد أنه كان هناك إلمام بالكتابة لدى كل الموظفين، التجار، أعضاء الأسرة المالكة، الوجهاء، النبلاء، الممولون، بمستويات مختلفة، وإن كانوا لا يستطيعون الخوض في النصوص الأدبية الكبيرة، أو العلمية، المكتوبة غالباً بلغة معقدة. لأنهم لم يكونوا بحاجة لأكثر من قراءة رسالة أو مراجعة حساب. اليوم أيضاً، في مجتمعاتنا المتطورة، حيث التعليم إلزامي، هل يمكننا أن نؤكد بأن الجميع لديه نفس الدرجة من المعارف الأدبية؟

وصفت الفصول السابقة، الشروط التي ظهرت فيها ظاهرة الكتابة، في بلاد الرافدين. هذه الثورة الفكرية، التي أحدثت منعكسات - لا تحصى - على تاريخ الإنسانية. كما نستطيع أن نعرف «الثورة النيوليتية»، بأنها التغير العميق في العلاقات التي توجد بين الإنسان ووسطه الطبيعي من جهة، وعقله ولغته من جهة ثانية.

مع ذلك ربما ليس من العبث، إعادة الصلات ما بين هذين الحدثين العظيمين، اللذان تآما في نفس المكان، إذا أمعنا التفكير في مكتشفات (جرف الأحمر)، نكتشف أن المحاولات الأولى لترجمة الفكر بالكتابة، كانت هي أيضاً في بداية الفترة النيوليتية. ومهما يكن من أمر، فمنذ اللحظة الأولى التي بدأت فيها النيوليتية، شرع الإنسان بخطوة عجيبة لازلنا نلمس حتى اليوم تطورها، إنجازاتها وسليباتها، ومنذ بدايات الزراعة، بدأ الوسط الطبيعي بالتغير. أليست الإزالة الكبيرة للغابات، التي يلاحظها الآثاريون، بالنسبة للفترات القديمة جداً، إلا صدى لما يقلق البيئيين في العصر الحديث.

هل هذا مختلف بالنسبة للكتابة؟ كما هو بالنسبة للنيوليتية، فلقد تغيرت أشياء قليلة منذ المحاولات الأولى للجمع ما بين الخطوط وجذور الكلمات وبين الإشارات والكلمات. منذ البداية إرتكزت الثورة الكبرى على جمع أية إشارة، حتى لو لم يكن إختيارها بمحض الصدفة، بكلمة في اللغة، أو بشكل أدق، بمجموعة عبارات مرتبطة بجذور كلماتها أو بمعانيها. سرعان ما أضيف إلى الإزدواجية الدلالية صوت. بدءاً من هذه المرحلة، لم يعد يعني التطور اللغوي، الشكلي، أو التبديل، تطوراً في النظام. من المؤكد بأن النظام اللغوي، قد هُذب مع الزمن، مروراً بأطوار أخذ خلالها تعقيدات وتبسيطات. من النظرة الأولى، يمكننا الاعتقاد بأن التطور «الطبيعي» لنظام الكتابة، إتجه نحو التبسيط أكثر فأكثر، ويبدو أن الحال لم يكن هكذا.

خطر، وأن المعلوماتية لم تكن لتري النور بدون الكتابة وتطوراتها، بما فيها علم الرياضيات، والتوثيق المزدوج. إننا نفتني دائماً الطريق الذي فتحتة لنا شعوب الشرق الأوسط، وذلك منذ عشرة آلاف عام.

ما بعد الكتابة؟

قد نفهم من الصفحات السابقة، بأن الإجابة على هذا السؤال مستحيلة، ولتصور ماذا سيخلف الكتابة، وسيعتبر ذلك تطوراً مساوياً لإبداعها وستكون قفزة كمية ونوعية أيضاً رائعة بالنسبة للوضع السابق، وإن كانت أحجية، فهل هي قادرة على التنبأ بالذي ستكون عليه تماماً تجربتها العقلية، مادمنّا لانزال قريين من إنسان (ليتراتوس أو كفسيس) الذي نقش يوماً على رقيم الخطوط الأولى للعلامات المسمارية، وهو لم يكن يقصد مطلقاً ما فرض علينا يوماً كل الحيره والدهشة، نحن أو أحفادنا.

إن تعقيد نظام الكتابة، ليس صعباً بحد ذاته. لنرى الكتابة الصينية، ملايين الأطفال يتعلمونها وبشكل منتظم، كما يفعل أطفالنا، دون أن يأخذوا وقتاً إضافياً، أو يجدوا صعوبة أكثر ويعتادوا كما نعتاد نحن لاشعورياً على نظام أبجدي، ونعتبره ممتازاً. وكما يبدو لنا فإن للإشارات السومرية دور صعب لا يعقل، أما قراءة مخطوطة أوغاريتية، أو أرامية، أو حتى العربية بدون معرفة ممتازة باللغة، والسباق الذي كتبت فيه، فهو خيار عسير، نظراً لعدم توفر الأحرف الصوتية.

منذ ٥٢٠٠ سنة على الأقل، كان مبدأ التوثيق عن طريق كتابة لغة هو ظاهرة مكتسبة. فهل تم فعلاً إجراء إضافات جذرية عليها؟ من المؤكد بأن الأنظمة قد تطورت وتنوعت، واستخدمت تصريفات خاصة لاتعد للحالات خاصة. يبدو لنا اليوم، في عصر الحاسوب، ومعالجة النصوص بالإدخال والأنترنت بأن الكتابة في

تاريخ أعمال التنقيب الأثري في سورية

ع. النبي

وصدر تشريع جديد يسمح بإعطاء البعثات الأثرية نصف المكرر. ونمت في أواخر الستينات ومطلع السبعينات حملة تنقيب وطنية ودولية لم يعرف لها مثيل وأنقذت كل المواقع المهددة تقريباً. ومازالت بعض البعثات مستمرة حتى الآن في المناطق المحيطة التي لم تغمر. ومن أشهر المواقع التي أنقذت وأصبح لها شهرة عالمية تل المريط ومسكنة وتل الفري وتل حبوبة. وجلبت حملة انقاذ مواقع الفرات المذكورة بعثات جديدة شملت كل البلاد تقريباً وبلغ عددها الاجمالي أحياناً مع بعثات الإنقاذ حوالي الأربعين.

وانتشرت أعمال المسح بشكل واسع وبخاصة عند مشاريع الانقاذ التي تجددت في منطقة الخابور حيث قام مشروع سد الخابور (سد الباسل حالياً)، ومشروع سدود الحسكة. وأنقذت وماتزال تنفذ كل المواقع المهددة تقريباً. وتعمل الآن في الانقاذ سبع عشرة بعثة في منطقة غمر سد تشرين. ويمكن أن نضع في مشاريع الانقاذ أعمال التنقيب المشتركة السورية الفرنسية في ابن هاني منذ عشرين عاماً. وأنجزت في ميدان التنقيب في مواقع ما قبل التاريخ في السنوات الأخيرة أعمال كثيرة وهامة نذكر منها ماتم في بادية تدمر (حوض الكوم). وننوه بخاصة باكتشاف هيكل الطفل النياندرتالي في كهف الديديرية على يد بعثة سورية يابانية يديرها الدكتور سلطان محيسن، والدكتور تاكيرو أكاوا. وان بعض المكتشفات في مجال ما قبل التاريخ في سورية سوف تغير وتقلب المعروف في هذا المجال رأساً على عقب.

وبدأت أعمال تنقيب وطنية جديدة في التسعينات موزعة على عدد من المحافظات من أبرزها تل سيانو (د. النبي و د. المقدسي) والمشفرة (د. المقدسي) وسكا (أ. طرقيجي) وتل بويض (د. أ. سليمان). كما اتسعت أعمال التنقيب المشتركة في أكثر المحافظات. ومن أشهر المواقع التي يجري فيها العمل المشترك ابن هاني وتل بيدر وجرف الأحمر وبصرى ودورا أوروبس ومواقع حوض الكوم. ويسهم في هذه الأعمال د. محيسن ود. النبي ود. سليمان، أ. م

لم يشهد القرن التاسع عشر أعمال تنقيب أثرية في سورية إلا في النصف الثاني من ذلك القرن ومطلع القرن العشرين، ومنها أعمال أرست ردينان في عمريت والحفريات البريطانية في جرابلس / كركميش والألمانية في زنجولي شمال وتدمر وتل حلف. وكانت هذه الحفريات بالأساس لأسباب استراتيجية وسياسية.

حصر الانتداب الفرنسي الأعمال الأثرية بيد السلطة الفرنسية. وخلال تلك الفترة لم تزد أعمال التنقيب الأثرية الهامة عن ثلاثين، قامت بها بعثات فرنسية وأجنبية عموماً مع بعض المساعدين السوريين أحياناً. ومن أبرز أعمال التنقيب آنئذ ماتم في دورا أوروبس والمشفرة وحماه ورأس الشمرة وتل الحريري وسهل العمق وتل براك وكهوف يبرود ... الخ.

بعد استقلال سورية عام ١٩٤٦م، باشر الأمير جعفر الحسني أعمالاً في مدرج بصرى، ثم قام الدكتور سليم عبد الحق بالتنقيب في مدفن طايعي في تدمر. وقمنا اعتباراً من ١٩٥٥ وبصورة رئيسية مع الاستاذ نسيب صليبي بتنقيبات وطنية في عدد من المناطق السورية وبخاصة في تل الكزل، وجرت أعمال هامة في عين دارا وتل عشرة قام بها فيصل الصيرفي، ومن ثم علي أبو عساف. وساعد في بعض هذه الأعمال مورييس دونان كما ساعد هنري دوكونتاسون في بعض الحفريات ما قبل التاريخية في منطقة دمشق.

ظهر قانون آثار جديد في ١٩٤٧م، وعدل في ١٩٦٣م، وهو لا يمنح البعثات الأجنبية أية آثار من مكتشفاتها إلا في أضيق الحدود وبشكل تشجيعي. ومع ذلك تواردت البعثات ورخصت اعتباراً من عام ١٩٥٠م، العمل من جديد في رأس الشمرة وماري ومُنحت رخص للرصافة وتل الصالحية بغوطة دمشق وتدمر وتل رفعت وتل الفخيرية وتل سوكاس وأفامية وتل مردوخ والمدن الميتة في الشمال وكهوف يبرود.

وكان أول مشاريع الإنقاذ عند تشييد سد الثورة على الفرات.

سكانها يعتبر رقماً قياسياً في النشاط الأثري والتنقيبي بخاصة. وهو يتناسب مع غنى الأرض العربية السورية وعراقة الحضارة التي تمت على أرضها الطيبة.

قدور، ود. شعث، وأ.خ أسعد ، وأ.ب. جاموس. ويتم التعاون مع المعاهد الأثرية القيمة في البلاد في أعمال مشتركة كثيرة. والآن تتم في سورية أعمال تنقيب سنوية لاتقل عن المائة بين سورية ومشاركة وأجنبية وهذا الرقم بالنسبة لمساحة البلاد وعدد

الأبحاث الأثرية الراهنة في الجزيرة السورية

أ. المحمود

واقتصاد الجزيرة وعلاقة ذلك بتدجين الحيوانات، الى جانب الحيوانات البرية التي كانت تُصطاد في البادية الواسعة. وكذلك تربية الحيوانات حتى كونت مرحلة جديدة لمجتمعات تعتمد على الزراعة الحقلية وتربية المواشي كذلك قدمت بعض الدراسات معلومات تاريخية هامة منذ الألف السادسة ق.م وحتى القرن السادس والعشرين ق.م وتقسيمها إلى مرحلة أولى تبدأ بالاستيطان والاستقرار ومرحلة ثانية تدعم مواقع الاستيطان أو بناء أسوار حماية ضخمة ومرحلة ثالثة نشوء الامبراطوريات كالامبراطورية الأكادية التي أخذت تدير منطقة الجزيرة ومرحلة رابعة لفترة تدهور وتصحر وهجرة مفاجئة بدت لنا في أغلبية المواقع التي جرى التنقيب فيها بالجزيرة السورية.

وأدت التنقيبات الى اكتشاف وتحديد بعض المواقع الأثرية القديمة مثل تل موزان (الذي كان يعرف باسم «اوركيش»)، وتل ليلان (شبث انليل)، وتل عجاجة (شاد يكاني)، وتل شيخ حمد (دور كاتليمو)، وتل براك (ناغاروم)، وتل بري (كخت)، وتل البديري (دور آشور - كيتي - اشري) وتل البيعة «توتول».

كذلك أدت اكتشافات ودراسة اللوحات المسمارية في تل البيدر التي تعود إلى فترة الأرشيف المكتشف في إبلا والتي تعتبر أولى اللوحات لتلك الفترة في منطقة شمال سورية إلى البرهنة على علاقة واضحة بين إبلا في الغرب وبلاد الرافدين.

مع الأمل بأن استمرارية التحاليل ستؤدي إلى تفسير هذه المعطيات، وسوف تسمح لنا لفهم أفضل لتاريخ المنطقة وتطورها الاجتماعي والاقتصادي.

الأبحاث الأثرية الراهنة في الجزيرة السورية الواقعة بين وادي البليخ والحدود السورية العراقية شملت تنقيبات أثرية ومسحاً أثرياً ودراسات وأسبار ساهمت فيها بعثات أثرية عالمية مختلفة بالتعاون مع المديرية العامة للآثار والمتاحف.

تركزت أغلبية هذه الأبحاث في مواقع تعود إلى الألف الثالثة ق.م. مثل تل ليلان - تل بديري - تل بري - تل الحميدي - تل البيدر - تل عتيج - رد شقرة - تل براك تل خنيدج - تل أبو حجية - تل خزنة - تل محمد ذياب - تل موزان - تل خويرة - تل البيعة - تل حمام التركمان - ومواقع تعود الى فترات تاريخية لاحقة مثل تل شيخ حمد - تل شيخ تنير - تل البويض - تل عجاجة - ومدينة الفار.

وهناك أبحاث أخرى عاجلت التطور في مراحل ما قبل التاريخ وحتى العصور المتأخرة مثل تل كشكشوك - تل صبي أبيض - تل مشنقة - تل أم قصير - تل الفيضة - تل زيادة - تل كوران - تل كرمه - تل الرفاي، وقد أختيرت مجموعة من المواقع بسبب الغمر نتيجة بناء سد جنوبي الحسكة. كذلك تهدف التنقيبات الى إجراء اختبارات بطرق حديثة لأعمال التنقيب حسب مظاهر التل وإجراء اختبارات على الهياكل العظمية، وكذلك تطورت الأبحاث في الجزيرة لتشمل المظاهر الطبيعية للمنطقة ودراسة المناخ من العصر الحجري ما قبل الفخاري المبكر في الألف الثامنة ق.م وإلى الألف الثانية ق.م. وقد أجريت أيضاً تحاليل للتربة والاحياء الدقيقة. ودراسة البيئة وطبقات المنطقة وذلك لتقديم براهين أولية للمظاهر الطبيعية والشروط المناخية. كذلك جرت أبحاث على بقايا عظام الحيوانات التي أعطتنا الصورة الأولى لعيش الحيوانات

المشهد الأثري في الجزيرة السورية

ط. ويلكنسون

تعريب: إ. سنديان

هذه المنطقة. ترجع هذه المحفوظات إلى عصور ما قبل التاريخ وحتى الفترة الإسلامية القديمة أو الوسطى، ويظهر من خلالها أجزاء كبيرة من الجزيرة، وعلى وجه التحديد وادي الخابور والبلخ التي كانت مناطق زراعية مزدهرة تربطها الطرق، وتنتشر فيها قنوات الري والأبنية التي تدل على إقتصاد مزدهر، ومع أن هذا الإزدهار كان متفاوتاً، فقد زالت معالمه كلياً بسبب ظروف سياسية وبيئية.

تقدم الجزيرة السورية مشهداً طبيعياً متأثراً بإجتماع عوامل ثقافية متعددة، تأثرت بظروف التقادم والتراكم، لهذا السبب لا تتوفر لدينا اليوم صورة كاملة عن المشهد القديم، وإنما يقتصر ذلك على تسجيل متفاوت لمبانٍ نوعية كالأقنية أو الدروب وكسر فخارية متناثرة هنا وهناك، لها صلة بالأنشطة الزراعية القديمة (التسميد بمساعدة بقايا المواد العضوية)، ومعاصر عنب ومقالع حجرية ومناطق لاستخراج الجص أو الملح، وتكمل هذه المعطيات المواقع الأثرية كما أنها تزودنا بمعلومات هامة حول الإقتصاد القديم في

الكتابة في الجزيرة السورية

ح. حمادة

إلى وجود تراث أكثر شمولية امتد من غرب سورية إلى أعالي الجزيرة إلى منطقة كيش وديالي. وهذا التراث يستند على تقاليد لغوية محلية على صعيد النحو أو الصرف أو الأسماء.

لقد أكدت وثائق إبلا دائماً وجود مركز هام في أعالي الجزيرة هذا المركز هو «ناغار» التي تم التأكد منها في تل براك، وناغار مدينة كبيرة تاجرت مع إبلا بالدواب والحبوب وحصلت منها على المنسوجات والمعادن. وقد أظهرت وثائق تل بيدر بأن سيد ناغار كان يزور بلدة بيدر التي يبدو أنها كانت تابعة له وأنه من هذه المدينة كانت ترسل الدواب (الحمير والأتن) إلى مدينة إبلا.

ثم أن قوائم الموظفين والخصص التي كانت توزع عليهم والتي عثر عليها في موقع بيدر مثل: /T.2640/ تشير إلى وجود الكتابة /DUB-SAR/، وهذه الإشارة دليل واضح على شيوع هذه المهنة في منطقة الجزيرة ودليل على أن الكتابة عرفت في الجزيرة السورية قبل هذا التاريخ بعدة قرون.

أما وثائق الألف الثانية فهي أكثر وفرة في الجزيرة لأن ما تم الكشف عنه في شاغر بازار في الثلاثينات وما تم الكشف عنه في ليلان - شوبات انليل - في الثمانينات يشير بوضوح إلى غنى الجزيرة بالوثائق الكتابية خلال هذه الفترة.

ولكن على أية حال فإنه لا يمكننا أن نتحدث عن الكتابة أو بداياتها في منطقة الجزيرة دون مزيد من التنقيب ومزيد من الشواهد.

ثمة شواهد أخرى أتت من تل الصبي الأبيض يعود تاريخها إلى القرن الثالث عشر ق.م، وشواهد آرامية وبابلية جديدة أتت من تل الشيخ حمد، لكن بالرغم من هذه الشواهد فإن هناك فترات انقطاع عديدة.

إن التنقيبات الأخيرة التي جرت في منطقة الجزيرة السورية غيرت كثيراً من المعطيات القديمة وخاصة تلك التي تشير إلى أن بدايات الحضارة والمدن قد ظهرت في جنوب بلاد الرافدين ثم انتشرت شمالاً.

أصبح الدراسون الآن يتحدثون عن أصل المدن في مناطق الزراعة البعلية وظهرت دراسات هامة:

The Origins of Cities in Dry-Farming Syria and Mesopotamia in the third Millennium B.C, Harvey Weiss, ed 1986.

كما ظهرت مراكز دينية هامة في أعالي الجزيرة مثل المعبد العالي في تل خزنة ومعابد تل براك (الرمادي - ومعبد العيون) ومعابد تلخال خويرة - وموزان - وكشكوك وأبو حجيرة، وغيرها. وقد كان لهذه المراكز المدنية دوراً هاماً في الحياة الاقتصادية، إذ أنها كانت تشرف على الصادرات والواردات وتوثق هذه العمليات بالتدوين والكتابة.

إن اكتشاف نظام الفيش (Tokens) في العديد من مواقع الجزيرة يمثل المرحلة الأولى من التوثيق، وهذا النظام كان شائعاً ومعروفاً على ضفاف الفرات (حبوبة كبيرة) وفي الجنوب (أوروك).

تلت هذه الفترة مرحلة انقطعت فيها الشواهد وأصبح الحديث عن أصل الكتابة وبداياتها في الجزيرة السورية نوع من التخمين.

ولكن اكتشاف وثائق تل بيدر مؤخراً جعلنا نعيد النظر فيما كتب سابقاً وبخاصة في تلك الدراسات التي ظهرت بعد اكتشاف وثائق إبلا.

مثل:

- "Thought about EBLA", SMS 1:1, 1977, by Gelt.
- "EBLA and Kish Civilization", 1981, by Gelt.

هذه الدراسات ربطت التقاليد اللغوية والكتابة الابلائية بتراث كيش الرافدي وهو ربط لانشك فيه، ولكن علينا أن ننظر الآن

العصر الحجري الحديث في الجزيرة السورية

م. موليست

تعريب: ي. الكجك

لقد سمح التطور الذي جرى ما بين ١٢٢٠-٧٢٠٠ ق.م، بتتبع التغيرات بشكل تطوري، بدءاً من منشآت القرى المستقرة، مروراً بأولى التجارب الزراعية، إلى التقاليد الجديدة في إخضاع الأدوات الحجرية، وتنظيم مصادر العيش، وتأهيل أنواع حيوانية، أو ظهور تقنيات جديدة، وخاصة التي ترتبط منها بفنون النار (فخار، جص، .. إلخ).

لقد سمحت التغيرات بإظهار وتوطيد التحولات الاقتصادية والاجتماعية، ويعني ذلك ظهور مجتمعات زراعية وطيدة الأركان.

لعبت سورية الشمالية، وبشكل خاص منطقة الجزيرة، بما فيها وادي الفرات، دوراً هاماً في ظهور المجتمعات الزراعية الأولى، وهي تشكل في الواقع واحدة من المناطق النادرة المتميزة في الشرق الأوسط. لقد وثق تطور التغيرات الاجتماعية - الاقتصادية والتي تمثلها فترة النيوليتية، بسمتين أساسيتين: وهما النضج المبكر بالنسبة للمناطق المجاورة، والطابع الخاص والداخلي لتطور الجماعات ما قبل التاريخية، والذين تحولوا من صيادين - جامعي قوت إلى مزارعين ومربي حيوانات.

يشكل تحليل المواقع الأثرية الهامة في حوض الفرات، والبلخ والخابور، شواهد هامة على التوزيع الجغرافي لمواقع السكنى، وعلى الاقتصاد القديم، وعلى التطور التقني.

من القرية إلى المدينة

الجزيرة السورية في أواخر العصر الحجري الحديث

وحتى العصر الحجري النحاسي

(من الألف السادس إلى الألف الرابع قبل الميلاد)

پ. أكرمانس

تعريب: هـ. عمران

أوائل التنظيم العمراني، واستمر الأمر على ما هو عليه خلال فترة الوركاء (أوروك)، حوالي عام ٤٠٠٠ - ٣٠٠٠ ق.م، عندما ظهرت على طول الفرات المدن الأولى المنظمة التي تضم المعابد والأسوار، وتميزت باقتصاد مركزي، وبموظفين متخصصين، وبتنظيم طبقي، كما ظهرت الكتابة. وقد لعبت العلاقة مع المراكز العمرانية في بلاد ما بين النهرين الجنوبية دوراً هاماً، ثم حلت محلها سريعاً التطورات الثقافية ذات الأصول المستمدة من الجزيرة السورية نفسها.

في بداية الألف السادس قبل الميلاد، هجرت مناطق كاملة من الجزيرة وعشرات القرى، وكان السبب على الأغلب تغيرات بيئية كبيرة، وبعد عدة قرون، عادت بعض المواقع للظهور وأدت لتغيرات واضحة في مجال الثقافة المادية والتنظيم الاقتصادي والاجتماعي في القرى، وحوالي عام ٥٠٠٠ ق.م، تأثرت حضارة حلف المحلية بحضارة ما بين النهرين، وظهرت نماذج جديدة للمنازل وطقوس جنائزية، في حين بدأ صنع الخزف وفق نماذج معروفة بكميات صناعية، وخلال هذه الفترة المعروفة بالعبيد، تجمع السكان في سلسلة من المواقع المحددة، وبدأ ظهور

الجزيرة السورية خلال النصف الأول من الألف الثالث قبل الميلاد

أ. سليمان

أرشيف في جناحه الإداري التابع للقصر بينما العاصمة الكبرى لفترة ما بعد العصر الآكادي أوركيش (موزان) أكبر اكتشاف حققته التنقيبات الأثرية الحالية. وتأتي أهمية أرشيف بيدر لاحتوائه على أقدم الرقم المكتشفة في الجزيرة ويؤلف مع رقم ماري وإبلا وحدة كتابية قديمة. ولا يمكن لنا عزل مواقع (دول) فجر السلالات الباكرا عن التأثيرات الحضارية الأخرى. فنجد أن المنطقة تقع على مفترق الطرق التجارية الدولية، التي كانت تربط الغرب بالشرق والجنوب بالشمال.

إن الاكتشافات العديدة التي تمت في مواقع الاستيطان، سمحت لنا بدراسة سوياتها والوقوف على المدى الذي وصلت إليه هذه المدن والمراحل التاريخية التي مرت بها.

لقد أعطتنا التنقيبات الأثرية في مواقع رد شقرة وكشكشوك والميلبية فكرة عن التصميم المعماري لمساكن فجر السلالات الباكرا. حيث كانت البيوت في المرحلة المبكرة كبيرة وذات غرفة واحدة تحتوي على دعائم ضخمة تنتهي بقوس تحمل بعض الدعائم أضيق وشاقولية كما الحال في الأصل كشكشوك III المرحلة العاشرة والميلبية، وتميزت بيوت المرحلة الثالثة بتعدد غرفها، إذ تألفت من غرفتين إلى أربع مع دعائم وجدران أقل سماكة، ولانجد أي دلائل على وجود فسات سماوية داخلية، في حين تظهر بعض العناصر المنزلية (كالتنور) التي حشرت بين البيوت. كما الحال في بيوت كشكشوك التي تنتهي إلى عصر نينوى (O) المرحلة الرابعة. إن المرحلة الرابعة من انشاء المستوطنة المتكونة من مساكن ترتبط فيما بينها بطرقات، ويمكن ملاحظة تلك العناصر المعمارية في المواقع التالية: رد شقرة، بديري، جسعة، أبو حجارة والميلبية، التي تنفرد عن بقية المستوطنات من حيث تنظيم المخطط للمدينة القديمة. أما مستوطنة رقاى فلقد وضع لها أسس تنظيمية في إنشاء

تبدو لنا الجزيرة السورية للوهلة الأولى وكأنها مستقلة حضارياً عن جنوب بلاد ما بين النهرين وعن الأناضول وإيران وغرب نهر الفرات (حضارة سورية الشمالية). إلا أن البحث الدقيق يطلعنا على وجود علاقات حضارية فيما بينها وهذا مايفسر لنا الوحدة الحضارية لمنطقة الجزيرة، لا بل للبلاد العربية.

إن موقع الجزيرة الاستراتيجي الهام ودورها الحضاري الفعال ساعد على ازدهار ونشوء الدويلات في الألف الرابع والثالث قبل الميلاد. مما أدى إلى تعاظم العلاقات فيما بينها (مناطق وادي البليخ والفرات). حيث كانت وامتزال صالحة للزراعة البعلية والمروية وتربية الماشية نظراً لمناخها وخصوبة أراضيها في زراعة الحبوب.

دلت نتائج التنقيبات الأثرية التي قامت بها البعثات الوطنية والأجنبية والمشاركة، على وجود سويات لحضارة فجر السلالات المبكرة أو عصر البرونز القديم أو العهود ما قبل صرغون. وإننا لنجد تلك السويات هي السويات الأولى التي تشكلت في بعض التلال: تل الميلبية، بديري، خنيدج، جسعة، نص تل، أبو حجارة، قرمة.

توسعت الحفريات الأثرية في سورية، كما اكتسبت صيغة منهجية. مما أدى إلى تغيير المفهوم القديم حول دور سورية الحضاري القديم، إن التلال الأثرية التي تنتمي لحضارة فجر السلالات كثيرة العدد وأهمها: تل براك (ناغار) تل ليلان، موزان، (دركيش، الميلبية، بديري، خنيدج، عتيج، رقاى، رد شقرة، ملا مطر، قرمة، أبو حفور، جسعة، أبو حجارة، كشكشوك، خزنة). هذه التلال وغيرها تعود إلى النصف الأول من الألف الثالث قبل الميلاد. ونعتبر مدينة ناغار (براك) أكبر وأهم مدن الجزيرة لكونها العاصمة الكبرى للجزيرة في منتصف الألف الثالث قبل الميلاد. كما يُعد تل بيدر من أهم المواقع التي قدمت أكبر

الجدار التحصيني كما أنشئت الطرقات على شكل خيوط عنكبوت منها الطرق الرئيسية والثانوية.

تجلت العمارة القديمة في معابد أوروك ومدينة حبوبة، إلا أنه وبعد اكتشاف معابد وقصور تعود إلى العصور المبكرة، نجد أن العمارة السورية شكلت فناً قائماً بحد ذاته.

إن المنشآت الضخمة التي اكتشفت في تلال براك - بيدر - خزنة - كشكشوك - أبو حجية - رقاى - ميلية، لا تقل أهمية عن المكتشفات المعمارية في جنوب وغرب بلاد ما بين النهرين وبخاصة ماري وإبلا والبيعة، تل البنات على الفرات.

تميز عمارة تل بيدر (القصر) باستعمال الأعمدة المربعة وباستقامة الواجهة الجدارية وخلو القصر من الجدار المحيط به، كما هو الحال في قصور ومعابد أوروك وقصور فجر السلالات في جنوب بلاد ما بين النهرين، ويطلق على هذا الجدار السور المقدس.

لقد حدث تغيير أساسي في فن العمارة من المخطط الجزئي في موقع أبو حجية وعتيق والجديدة ورد شقرة وأبو حفور إلى المخطط الكلي للبناء في رقاى - بيدر.

لقد شيد قصر بيدر وفق مخطط مسبق يتألف من (المدخل مع الفسحة السماوية وغرفة الاستقبال - قاعة العرش) تقع هذه الغرف الثلاث على خط مستقيم كما هو الحال في القصور الرافدية وتلتف حول هذه القاعات غرف أصغر حجماً. بينما ترى كتلة معمارية أخرى تتصل مع القصر لتؤلف وحدة معمارية متكاملة. هذا يعني أن القصر لعب دوراً سياسياً وإدارياً، وذلك لتواجد أقدم أرشيف في الكتلة المعمارية المؤلفة من عدة غرف.

ويتزامن قصر بيدر مع قصور تل براك (ناغار) وقصر ماري (ماقبل صرغون) وقصر إبلا (G).

فمعبد العيون في تل براك الذي بني حسب مخطط مختلف عن النموذج الثلاثي المتبع في بناء معابد فترة أوروك. يرجع بناء المعبد إلى نهاية عصر أوروك وبداية عصر جديد يحمل معه ميزات معمارية جديدة. وتحول نحو نشوء الدولة.

تتجلى المعابد المكتشفة أكثر ماتجلى في المعبد البيضوي العالي المسور في موقع تل خزنة (I)، الذي يشارك معبد خفاجة في الازدواجية الجدار الخارجي، بينما يختلف المعبد البيضوي في موقع كشكشوك بخلوه من الجدار المحيط به، الذي يرجع بناء المعابد البيضوية الى فجر السلالات الأولى والثانية.

لكن المعبد الأحادي الغرفة المكتشف في كشكشوك وركاي، ينتميان إلى عصر نينوى (O) أي فجر السلالات الثالثة. بينما نجد نموذج جديد من العمارة الدينية التي تتمثل في معبد الأقواس في تل أبو حجية. تأخذ الأقواس شكلاً دائرياً يحمل السقف. ولا يختلف الأمر عن البناء المخصص لكهنة المعبد والكائن الى الشمال منه. ويتألف من ثلاث غرف، تعدد الأقواس بداخلها وجدرانها أكثر سماكة من جدران المعبد.

نجد التأثيرات الخارجية واقعة ما بين شمال وجنوب بلاد ما بين النهرين في موقع خزنة وكشكشوك وبين خفاجة لوجود معبد بيضوي الشكل في تلك المواقع.

ومن جهة ثانية يشير بناء المعبد الاحادي الغرفة ومعبد الأقواس تشير إلى استقلالية المنطقة التي أخذت تبرز كمركز للحياة السياسية والفكرية. حيث استبدلت المعابد البيضوية والمدن المسورة بقصور ومعابد مربعة وبجدران واجهات مستقيمة وخالية من الزخارف.

إن الرواق المرتبط مع قاعة الاستقبال قاعة العرش من الأنظمة المعمارية القديمة التي يطلق عليها بعصر ما قبل صرغون، وهي تتمثل في قصر كيش وماري واشتونا.

إن قاعة الاستقبال الفسيحة والرواق المؤدي اليها وقاعة العرش لانجدها في العمارة الأكادية، فإذا ما قارنا قصر بيدر وماري وإبلا مع قصر نارام سين، يبدو الفارق واضحاً بين هاتين العمارتين. فقصر نارام سين أكثر انغلاقاً من حيث التصميم، ويشبه القلاع. كانت مدينة دور كاتليمو (تل الشيخ حمد) تشكل مركزاً إدارياً أساسياً في بادية الجزيرة، وتصور الكتابات المكتشفة فيها الوضع الإداري والاقتصادي في المنطقة خلال القرن الثالث عشر ق.م.

لاتوافر لدينا وثائق وافية عن تاريخ الجزيرة في القرنين التاليين، ولكن الراجح هو أنها تأثرت كسائر المناطق السورية بالاضطراب الذي خلفه غزو «شعوب البحر» في حوالي ١٢٠٠ ق.م، كما شهدت بدءاً من أواخر القرن الثاني عشر ق.م تغلغل القبائل الآرامية إليها - على غرار التغلغل الأموري في مطلع الألف الثاني ق.م -، وقد استطاع الآراميون إنشاء ممالك مستقلة في معظم مناطقها خلال مطلع الألف الأول ق.م.

الجزيرة السورية في الألف الثاني ق.م

ف. إسماعيل

مفيدة عن تاريخ الجزيرة. وفي أواخر القرن السادس عشر ق.م شكل الحوريون المقيمون في الجزيرة منذ النصف الثاني من الألف الثالث ق.م مع الميتانيين القادمين من المناطق الجبلية الشرقية مملكة ميتاني - وعاصمتها وشوكاني (تل الفخيرية؟)، وقد شمل نفوذها كامل الجزيرة السورية.

لقد تحالف ملوكها مع المصريين لدرء الخطر الحثي، وتصور رسائل تل العمارنة بمصر العلاقات بين القوى الثلاث (المصريون، الميتانيون، الحثيون). إن ظهور صراعات داخل البلاط الميتاني أدى الى تغلغل الحثيين في مناطقهم، كما استطاع الآشوريون التحرر من سيادتهم عليهم، بل قضوا على مملكتهم المفككة في النصف الاول من القرن الثالث عشر ق.م، وسيطروا على الجزيرة، وقسموها الى مقاطعات يحكمها حكام محليون موالون لهم، ويلتزمون بدفع الجزية لهم.

كانت مدينة دور كاتليمو (تل الشيخ حمد) تشكل مركزاً إدارياً أساسياً في بادية الجزيرة، وتصور الكتابات المكتشفة فيها الوضع الإداري والاقتصادي في المنطقة خلال القرن الثالث عشر ق.م. لا تتوفر لدينا وثائق وافية عن تاريخ الجزيرة في القرنين التاليين، ولكن الراجح هو أنها تأثرت كسائر المناطق السورية بالاضطراب الذي خلفه غزو «شعوب البحر» في حوالي ١٢٠٠ ق.م، كما شهدت بدءاً من أواخر القرن الثاني عشر ق.م تغلغل القبائل الآرامية إليها - على غرار التغلغل الأموري في مطلع الألف الثاني ق.م -، وقد استطاع الآراميون إنشاء ممالك مستقلة في معظم مناطقها خلال مطلع الألف الأول ق.م.

انتقلت قبائل أمورية من وادي الفرات الى سهول الجزيرة في مطلع الألف الثاني ق.م، وتابعت بعضها السير الى مناطق آشور. وتمكن الأموري شمشي أدد الأول (١٨٠٨ - ١٧٧٦ ق.م) من اعتلاء عرش مدينة آشور، وجعلها مركزاً لإمبراطورية شكلت الجزيرة العليا جزءاً أساسياً منها.

وتفيد نصوص الأرشيف الملكي في ماري (تل الحريري) بأنه اتخذ مدينة شخنا (تل ليلان) عاصمة ثانية له، وسماها (شبت إنليل). كما عين ابنه يسمخ أدد على عرش ماري، وكلف ابنه إشمي دجن بمراقبة مناطق دجلة. وصارت إمبراطوريته قوة أساسية في المنطقة.

لم يستطع ابنه - بعد موته - الحفاظ على وحدة الإمبراطورية، فاستعاد زيمري ليم عرش ماري (١٧٧٥ - ١٧٦١/١٧٦٢ ق.م)، وظهرت في الجزيرة ممالك صغيرة يحكمها حكام خاضعون لسيادة ماري، مثل: شبت إنليل، كخت، إيلان صوراً...

تعرضت الجزيرة خلال حكم زيمري ليم لحملة حكام إشنونا والعيلايين والكوتيين، وقد أدت الى احتلال مؤقت لبعض أجزائها، واستمرت سيادة ماري عليها.

احتل حمورابي ملك بابل مدينة ماري ودمرها (١٧٦٢/١٧٦١ ق.م)، وضم المنطقة الى مملكته. وكانت مملكة آبوم - ومركزها شبت إنليل - أبرز ممالك الجزيرة آنذاك حتى دمارها في ١٧٢٨ ق.م.

ظهرت في ترقا (تل العشارة) مملكة خانا (حوالي ١٧٢٥ - ١٦٠٠ ق.م)، ولكن النصوص المكتشفة فيها لا تقدم معلومات

علاقة الجزيرة مع بقية أجزاء سورية في عصر البرونز الوسيط

أ. طرقيجي

وعلى هذا فإن التوازنات السياسية بين الممالك القوية، قد شهدت صدامات عسكرية ومنافسات تجارية، أدت إلى إيجاد التحالفات وإقامة العلاقات من أجل السيطرة على التجارة أو بسط النفوذ، وتأمين الحماية الذاتية للممالك. ولم تكن لها علاقات جيدة مع بعضها في أكثر الأحيان. ومع ذلك فقد شهدت البلاد تطوراً حضارياً خلاقاً في كافة المجالات، ارتكز على التقاليد الفنية الموروثة، وامتاز بابتكارات كثيرة في مجال العمارة والفنون المختلفة.

لم تكن الجزيرة السورية في يوم من الأيام بعيدة عن مجرى الأحداث والتفاعلات السياسية والحضارية التي عاشها الهلال الخصيب في عصر البرونز. ولم يشكل الفرات يوماً حداً فاصلاً للتبادل التجاري والثقافي بين ضفتيه.

ومع البدء في استقرار القبائل الأمورية وتأسيس إماراتهم في المنطقة في مطلع الألف الثاني ق.م. ظهرت الممالك الأمورية كقوة سياسية فاعلة، أخذت تتنافس فيما بينها على السلطة والنفوذ، كان أشهرها ممالك ماري، آشور، بابل، إيبلا، كركميش، يحاض، وقطنة وغيرها.

الجزيرة السورية في العصور الآشورية الوسيطة وفي الألف الأول قبل الميلاد

هـ. كونه

تعريب: غ. الحسين

بحسب الأرشيف المكتشف في إقليم دور - كاتليمو ذاك، والذي يدعى اليوم تل شيخ حمد، ما بين الأعوام ١٩٧٨ و ١٩٨٣م، فإن هذه المدينة لم تكن مقراً لحاكم آشوري فقط (كخمس مراكز أخرى موثقة بالنصوص)، ولكنها تبدو أنها تمتعت بوضع ذو شأن عظيم، حيث كان يقيم فيها موظف ذو مرتبة عالية من الحكومة المركزية، هو وزير مسؤول عن كل الأمور المتعلقة بتنظيم ومراقبة الممتلكات الآشورية الجديدة في الغرب، وتذكر نصوص اكتشفت حديثاً في تل خويرة، وتل صبي أبيض، موظفين تابعين لوزير من دور - كاتليمو.

نستطيع أن نستخلص من ذلك أن المملكة الآشورية في العهد الوسيط كانت تمارس في القرن الثالث عشر سيطرة إقليمية على الجزيرة، بينما بقيت منطقة أعالي الفرات تحت السيطرة الحثية، ومنطقة الفرات الأوسط تحت سلطة الآراميين.

لقد بقي هذا النظام الإقليمي متماسكاً لفترة ما بعد وفاة توكولتي - نينورتا الأول، رغم أن الحكومة المركزية قد تعرضت للضعف قبل أن تنهار في لحظة ما تزال مجهولة حتى الآن، في حين عاود توسع السيطرة الآشورية على الجزيرة أولاً تحت إمرة تكلات - فلاصر الأول (١١١٤-١٠٧٦ ق.م)، لكن يبدو جلياً أن المناطق الغربية بين نهر الفرات ومنابع نهر الخابور قد فقدت، وذلك لأنه، بعد حكم آشور بيل كالا (١٠٥٠-٩٣٠ ق.م) وبعد ما أصاب السلطة المركزية من ضعف جديد، تقلصت المنطقة التي تحكمها «بلاد آشور» ولم تعد تشتمل على أكثر من منطقة الوادي الأدنى لنهر الخابور. لقد حكم هذه المنطقة حينئذ عدد من السادة المحليين، كانوا على الأرجح حكاماً سابقين ثم استقلوا إلى حد كبير، وقد تميزوا بولائهم للدولة آشور، في وقت تأسست ولايات

خسر توشراتا ملك الميتانيين معركة نحو منتصف القرن الرابع عشر قبل الميلاد ضد سوبوليوما الأول ملك الحثيين، وهكذا فقد السيطرة على منطقة الجزيرة. وفي العهد نفسه تحررت المملكة الآشورية من الوصاية الميتانية، وإبان العصر الآشوري الوسيط، في ظل حكم الملك آشور أوباليط الأول، وطدت دعائمها.

إن التوسع الآشوري نحو الشرق، الذي تمت متابعته حينئذ، اتجه نحو ما خلفه الحثيين من الدولة الميتانية، وهو مملكة الهانيغالبا، التي كانت تمتد بين منبع كل من نهري الخابور والفرات في الشمال الغربي من الجزيرة، مما جعل منها المنطقة الأكثر خصوبة آنذاك. وقد حدث هذا الغزو على مراحل ولكنه لم ينته الا قرابة نهاية الألف الثالث عشر قبل الميلاد تحت إمرة الملك الآشوري نينورتا توكولتي الأول.

كانت آشور العاصمة بمثابة القلب للمملكة الآشورية، وكانت تقع على الشاطئ الغربي لنهر دجلة وعلى حدود الجزيرة الشرقية التابعة للمملكة الآشورية، التي ربما كانت تزاوّل فيها الزراعة البعلية، حينئذ شرع الآشوريون بالسيطرة على المنطقة التي كان يستوطنها البدو أساساً، باستثناء بعض الواحات النهرية، ولأسباب مناخية. لكن بلوغ هدف السيطرة على المنطقة كان من الصعب، لأن الآشوريين لم يقاوموا دولة منظمة، بل مجموعة غير متجانسة من القبائل البدوية، التي انتمى إليها فيما بعد قادمون جدد وهم القبائل الآرامية. فيما كانت المجابهة مع هذه القبائل الجديدة مشهودة سابقاً خلال حكم الملك حدد - نيراري الأول، ويبدو أنه في نفس هذا العهد بدأ تطور الوسط الإقليمي لمنطقة دور - كاتليمو في الوادي الأدنى للخابور، حيث ارتبطت هذه المدينة بأشور عبر طريق مباشر اشتمل على عدة محطات وسط السهوب.

آرامية صغيرة في أعالي الخابور وفي منطقة إلتقائه مع نهر الفرات، ولقد أدت بالتأكيد فترات الجفاف الطويلة لإضعاف الحكومة المركزية الآشورية - ولو جزئياً - بين الأعوام ١٢٠٠ و٩٣٠ ق.م.

لقد بدأت نهضة السلطة الآشورية مع آشوردان الثاني (٩٣٢-٩١٠ ق.م)، الذي استطاع الاستفادة من المحاصيل الغنية، وشرع بإصلاح النظام الإداري والعسكري، كما استطاع خلفاؤه، حدد - نيراري الثاني، توكولتي - نينورتا الثاني وآشور - ناصر بال الثاني، إيلاء الاهتمام من جديد بالغرب وبسط نفوذهم على الفرات الأوسط وعلى الوادي الأدنى من الخابور.

لقد استطاع سلمناصر الثالث في عام ٨٥٦ غزو الدولة الآرامية (بيت عديني) وعاصمتها تل برسيب، وبذلك استعادت بلاد آشور المناطق التي سبق أن وصلت إليها في القرن الثالث عشر. وتحققت السيطرة الإقليمية على كامل الجزيرة في نهاية القرن التاسع، حين تحولت الدول الآرامية إلى أقاليم مثل بيت - بحيان عام ٨٠٨ ق.م.، كما تأسس إقليمان قويان الأول إقليم رازبا في الجزيرة الشرقية والثاني إقليم تورتان في الغرب، وحكم كلا الإقليمين قائدان عظيمان.

لقد انضوت الجزيرة تحت حكم حدد - نيراري الثالث (٨٠٩-٧٨٢ ق.م)، فيتضح من المسلة المكتشفة في تل ريمة (مدينة

زماهو القديمة) أن الملك كان يتفاخر بأنه أسس ٣١ منشأة. وهذا التطور مثبت أثرياً من منطقة وادي عجيج. أصبحت الجزيرة حينئذ تابعة للمناطق الزراعية في الملكة الآشورية، حيث تقع مراكزها الرئيسية في منطقة مناخها مؤاتٍ على الشاطئ الشرقي لنهر دجلة، إلى الشمال من العاصمة آشور. وكانت تجتاز طريق ملكية تخص (ساران شاري) الجزء الشمالي من الجزيرة. كما نعلم أنه في القرن السابع ربط فرع من هذه الطريق ويعز - كاتليمو بالوادي الأدنى لنهر الخابور.

لقد شهدت الجزيرة تطوراً زراعياً واستراتيجياً لم تبلغه في أي عهد آخر في تاريخ الشرق الأدنى القديم، وذلك بفضل إقامة منشآت جديدة والبدء بالزراعة، بالإضافة إلى شق الطرق في العهد الآشوري الحديث، وقد استفاد الذين غزوا الإمبراطورية الآشورية من هذا التطور، وبشكل رئيسي الملوك البابليون. بدأت الجزيرة تفقد أهميتها في عهود الممالك الفارسية والأخمينية والأرساسية، وذلك بسبب وجود المراكز الرئيسية للحكومة في الشرق. ويلاحظ، ابتداءً من القرن الثاني قبل الميلاد، نمو جديد للمنشآت في المنطقة ناجم عن الوضع السياسي وعن إقامة الحدود بين الأملاك البارثية (الأرساسية) والرومانية.

الجزيرة السورية في العصور ما بعد الآشورية: من الإمبراطورية البابلية الحديثة إلى الإمبراطوريات الرومانية والبارثية

أ. كورت

تعريب: هـ. عمران

١ - لمحة تاريخية:

في المنطقة، ويسمح المسح الأثري للمنطقة الشمالية الشرقية بالافتراض أن بنية التقسيمات قد تعرضت للقليل من التغيرات التي يمكن التنبؤ بها بما فيها السياسية العنيفة، كما يضاف إلى هذه المعطيات، بعض الرقم المسماة من الفترة البابلية الحديثة، وبعض التلميحات في النصوص البابلية، والكلاسيكية الأخرى وبعض الكتابات النادرة، وهي تسمح جميعها بتصوير الواقع التاريخي.

٣ - المدن والمستعمرات:

على إثر سقوط الإمبراطورية الآشورية بشكل حتمي، حصلت بعض التغيرات المهمة رغم استمرار فترات بارزة خلالها. وقد أظهرت المكتشفات الأثرية أن تل برسيب قد استمر قائماً حتى القرن الرابع ق.م، وأصبحت مدينة Thapsaque (قلعة الدبس) ملتقى طرق هام سيما بوجود جسرهما على الفرات ومينائها النهري في الفترة الأخمينية، حتى استبدلت عند تأسيس مدينة زوغما السلوقية (سلوقية - أفاميا) حوالي عام ٣٠٠ م، ويبدو أن كركميش لم تستمر بالبقاء بعد حروب أواخر القرن السابع رغم أنه قد تم وضع حامية فارسية صغيرة على بعد حوالي ٢٧ كم إلى الجنوب والجنوب الغربي في منطقة Deve Hüyük لحراسة الممر إلى النهر، وأصبحت كركميش نفسها مستعمرة مقدونية صغيرة تتبع لـ Europas إبان الحكم السلوقي.

بقيت بعض المواقع القديمة نابضة بالحياة في المنطقة الواقعة بين الضفة الشرقية للفرات وقلب آشور، في الوقت الذي تراجعت فيه مواقع أخرى أو صغر حجمها، كما أنشئت مواقع جديدة استجابة

من المرجح أن تكون الجزيرة السورية قد تبعت للإمبراطورية البابلية الحديثة في الفترة التي تلت عام ٦١٢-٦١٠ ق.م وحتى سقوط بابل تحت سيطرة قورش Cyrus، وتم ضمها إلى الإمبراطورية البابلية الأخمينية كجزء من المقاطعة البابلية. وخلال غزوته لبلاد فارس، أصبح الإسكندر المقدوني (٣٣٦-٣٢٣ ق.م) الحاكم الجديد لبلاد ما بين النهرين، ولم يلبث سلوقس الذي كان أحد قادة الإسكندر أن ضمها إلى مملكته فيما بعد، وقد بقيت هذه المنطقة تحت السيطرة السلوقية حتى الغزو البارثي (١٢٦ ق.م)، وإبان السلطة البارثية حتى بسط سبتيموس سيفروس سلطته نهائياً من روما في النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي، ووصل حتى نصيبين Nisibis وسنجان ودورا وأوروبوس، وقد ساعد موقع المنطقة الحدودي بين إمبراطوريتين على تمتعها من حين لآخر بشيء من الحكم الذاتي، الذي دام لاسيما في فترة الصراع بين الساسانيين والبيزنطيين من القرن الرابع وحتى القرن السابع الميلادي.

٢ - المصادر التاريخية:

لا يوجد سوى القليل من المصادر التاريخية التي تسمح بدراسة تاريخ الجزيرة السورية خلال هذه الفترة التي تمتد حتى الألف عام. وخلال التنقيبات، فقد تم الحصول على أغلب المعلومات من الحضر ودورا وأوروبوس التي اكتشف فيها كمية كبيرة من أوراق البردي (البارثية والرومانية)، وقد ساعدت هذه الإكتشافات على توضيح الحالتين الإجتماعية والسياسية والتقسيمات الريفية

٤ - الطرق:

تسمح معرفتنا المستقاة من المصادر المتفرقة المتوفرة بين أيدينا بأن نعتقد بوجود طريقين رئيسيين تم استخدامهما لعبور منطقة الجزيرة خلال جميع الفترات التاريخية، تنطلق الأولى من الفرات وتعبّر دجلة قرب نينوى، وقد اعتبرت أسهل من الناحية المناخية، وأكثر وفرة بالمؤن، أما الثانية فكانت على طول الضفة اليسرى للفرات، وكانت بالتأكيد أشق بالنسبة لجيش مثقل بالعتاد. في الواقع ومع تناقص المناطق المزروعة فيها، أصبح من الصعوبة بمكان الخوض عند الضفة، كما لوحظ وجود بعض البدو الذين كانوا يطلبون النقود من المسافرين للسماح لهم بالمرور بأمان.

لقد تغيرت البنية التحتية للطرق خلال الزمن، فقد أهملت الطريق الشمالية مثلاً عندما انتقل مركز النشاط السياسي في بلاد ما بين النهرين إلى الجنوب، وعندما تمت تقوية الحدود بين روما والبارثيين، فقد وصف الكاتب البارثي إيزودور دو كراكس الطريق الرئيسية التي ربطت زوجماً بسلوقية دجلة في بداية القرن الأول الميلادي، ويبدو من وصفه أنها كانت تمتد من الفرات وحتى Anthémuse قرب أورفا ثم تتجه جنوباً على طول البليخ حتى Ichnae و Nicéphorium، وتستمر على طول نهر الفرات حتى دورا أوروبوس قبل وصولها إلى بابل، كما لوحظ وبحسب المصادر التي تضمنت ذكر وجود طرق أخرى، فمملكة الحضر الخاضعة للبارثيين قد وجدت على طريق القوافل التي ربطتها بالفرات الأوسط وبعض المدن التجارية الأخرى كندمر، وتظهر وثيقة آرامية من نهاية القرن الخامس الميلادي وجود سلسلة من المحطات المجهزة على طريق تنطلق من بابل على طول الضفة الشرقية لدجلة وتقطعها شمال أربيل Arbèle وتستمر عبر الجزيرة إلى الفرات الأوسط كما يعتقد، وأخيراً يصف هيرودوت «الطريق الملكية» للفرس بين Sardes وسوسا، وتدل معلوماتنا السابقة أن هذه الطريق كانت تتجه جنوباً بعد تركيا وتمر عبر نصيبين وعبر دجلة ومدينة أربيل Arbèles.

لضرورات عسكرية وتجارية، فقد استمر موقع دور كاتليمو على الخابور الأدنى وغوزانا Guzana على الخابور الأعلى حتى الفترة البابلية الحديثة، ورغم غموض تاريخهما، إلا أننا نعرف بوجود مواقع إقليمية جديدة في هذه الرقعة من الأرض خلال الفترة البارثية (Gauzanitis; (T) Ingène)، فقد تم العثور في تل بيدر على طبقة استيطان هلنستية وبارثية، وإذا كنا لانستطيع أن نحدد بدقة تاريخ تأسيس واحة الحضر Hatra شمال غرب آشور، إلا أننا نستطيع أن نؤكد أنها أصبحت ملتقى مزدهراً للقوافل خلال الفترة البارثية، وإلى الشمال منها، أصبحت سنجارا (سنجار) عام ١٩٠م الحد الشرقي الأبعد الذي وصلته السيادة الرومانية، وعلى طول دجلة بقيت آشور ونيوى مدناً مسكونة، كما عرفت آشور فترة ازدهار خلال الحكم البارثي.

أنشأ سلوقس الأول مدينة دورا أوروبوس في أعالي مدينة ماري القديمة، فأصبحت مركزاً على طريق مهمة، ونقطة سيطرة على النهر حتى دمرها الساسانيون عام ٢٥٠م، أما مدينة نصيبين Nisibis الواقعة على الطريق الرئيسة القادمة من الأناضول، فقد بقيت تحت اسم أنطاكية المقدونية (Antiochia Mygdoniae)، ولم تلبث أن تحولت إلى مركز هام للكنيسة السريانية، وإلى الغرب، قام ملك البابليين نابونيد Nabonide (٥٥٦-٥٣٩ ق.م) بترميم مدينة حران الواقعة على طريق تجارية قديمة، والتي كانت قد دمرت خلال الحرب الآشورية البابلية، وقد استمرت هذه المدينة كمركز تجاري وديني لإله القمر، وعرفها الرومان باسم Carrhae، وهو المكان الذي هزمت فيه روما هزيمة منكرة أمام البارثيين عام ٥٣ ق.م، وتقع المدينة على بعد حوالي ٤٠ كم إلى الجنوب الشرقي من مدينة أورفا Urfa الحديثة والمعروفة قديماً باسم أنطاكية - كاليروه Antioche-Callirhoe التي أسسها سلوقس الأول والتي اشتهرت تحت اسم الرها، وكانت عاصمة لمملكة صغيرة هي Osrhoène، ومركزاً للحياة الثقافية السريانية.

مشروع تل بيدر

م. لوبو + أ. سليمان

تعريب: ب. زهدي

كان موسم التنقيب الثاني عام ١٩٩٣ استثنائياً، ومن النتائج الأكثر أهمية كان اكتشاف مبان كبيرة رسمية تعود للألف الثالث ق.م واكتشاف الوثائق المسمارية الأولى.

وفي شهر تشرين الثاني ١٩٩٣ تخلت جامعة ليل الثالثة عن متابعة تعاونها، وفي شهر كانون الأول من العام نفسه إنضمت جامعة مدريد المستقلة إلى المشروع، وأدى إهتمامها إلى إسهام زملائنا الإسبانين رسمياً في نشاطات المركز الأوروبي لدراسات بلاد ما بين النهرين العليا منذ عام ١٩٩٤، وبسبب نقص الاعتمادات كان هذا الإسهام لسوء الحظ قصير الأمد.

وفي عام ١٩٩٤ أعربت المديرية العامة للآثار والمتاحف عن رغبتها في الإشتراك في التنقيبات الأثرية في تل بيدر. وفي صيف عام ١٩٩٤ أسهم فريق عمل مؤلف من خمسة أعضاء سوريين مع الفريق الأوروبي في موسم التنقيب الثالث، ومنذ هذا التاريخ أصبح الأسم الرسمي للبعثة بعثة (التنقيبات الأثرية السورية الأوربية المشتركة في تل بيدر). ومنذئذ تشكلت البعثة معاً من فريق سوري من المديرية العامة للآثار والمتاحف وفريق أوروبي.

وكان موسم التنقيب الأثري الثالث كالسابق غنياً باكتشافاته وبالتحديد اكتشاف رقم مسمارية مجدداً والتعرف على هوية مبنى من طبيعة مباني القصور في قلب المدينة القديمة.

وكان العمل المشترك الأوروبي السوري قد أصبح رسمياً بالإتفاق بين المركز الأوروبي لدراسات بلاد ما بين النهرين العليا والمديرية العامة للآثار والمتاحف الموقع في شهر آب ١٩٩٥ من قبل الأستاذ الدكتور سلطان محيسن المدير العام للآثار والمتاحف في سورية، ومن قبل الأستاذ الدكتور أندره أوسترنك، رئيس جامعة لوڤين الكاثوليكية، المفوض من قبل المسؤولين عن الجامعات الأوروبية بالمساهمة في هذا المشروع.

وفي ربيع عام ١٩٩٧ إنضمت جامعة (كافوسكاري دي فينيسيا) بدورها إلى المشروع، الذي تولى مسؤوليته لوتشيو ميلانو، وكذلك

تلقى مارك لوبو في ربيع عام ١٩٩١ مقترحات من عدة زملاء بهدف تشكيل بعثة أثرية للتنقيب في موقع تل بيدر. وفي صيف نفس العام تشكلت لجنة E.E.S. (التنقيبات الأوروبية في سورية) معتمدة على دعم بلجيكي من (الجامعة الحرة في بروكسل) ويتولى مسؤوليته فيليب تالون، ودعم فرنسي من (جامعة شارل ديغول - ليل الثالثة)، وتتولى مسؤوليته دومنيك باراير المديرية العلمية المشاركة، ودعم ألماني، فقد انضمت في أيلول عام ١٩٩١ - وإن يكن مبكراً جداً - جامعة لوڤين الكاثوليكية بدورها إلى المشروع ممثلة بـ (كارل فان ليربرج).

وفي خريف عام ١٩٩١ تم إجراء أعمال الأسبار الأولى في تل بيدر.

وفي ربيع عام ١٩٩٢ أسس المسؤولون عن الجامعات الداعمة للمشروع المركز الأوروبي لدراسات بلاد ما بين النهرين العليا ECUMS، وكان في مقدمة إهتمامات هذا المركز جمع الوسائل والمصادر الضرورية لتشكيل بعثة علمية نظامية وذلك عن طريق ممثلي الجامعات المساهمة في هذا المشروع، فتلقى المركز أموالاً من جهات رسمية وخاصة.

وفي أيلول وتشرين أول من العام نفسه تم القيام بأول موسم تنقيب من قبل عشرين عضواً يساعدهم ثمانون عاملاً محلياً. وقد اعتمد فريق العمل وقتئذ بشكل أساسي على مشاركة بلجيكية (جامعة لوڤين الكاثوليكية الحرة وجامعة بروكسل الحرة) وفرنسية (جامعة ليل الثالثة)، وكان يضم أيضاً مساعدين ألمان، إسبانيين، إيطاليين وهولنديين أسهموا في العمل بصفة فردية.

ومنذ موسم التنقيب في عام ١٩٩٣ أتخذ الإسهام الألماني شكلاً رسمياً حيث تولى جواكيم برتشنايدر المسؤولية العلمية، بينما تولى الأستاذ ر. ويتمان المسؤولية الإدارية، لمشروع بحث مولته بشكل أساسي جمعية الأبحاث الألمانية Deutsche Forschungs-gemeinschaft منذ شهر شباط ١٩٩٤.

وتسهيل تعرفهم على البحث، والكشف عن امكانياتهم ضمن إطار أوروبي واسع. وتعتمد التنقيبات الأثرية السورية الأوروبية في تل بيدر على ركيزتين هما:

– المركز الأوروبي ECUMS (بالنسبة للفريق الأوروبي)
– المديرية العامة للآثار والمتاحف (بالنسبة للفريق السوري – بإدارة حميدو حماده عام ١٩٩٤ وأنطون سليمان منذ عام ١٩٩٥). وإن الإسهام السوري يتعلق بالميدان الأثري بقدر ما يتعلق بميدان الدراسات الكتابية والتاريخية.

ومنذ بداية الأعمال الأثرية في تل بيدر، فإن المدرسة العليا للعمارة "لاكامبر" أسهمت في البحوث وهناك مؤسسات أكاديمية وعلمية وحكومية دعمت المشروع منذ تأسيسه، نذكر من سورية:

– متحف حلب، دائرة آثار الحسكة، متحف دير الزور.

ومن بلجيكا:

Le Nationaal Fonds voor Wetenschappelijk Onderzoek

Le Fonds National de la recherche scientifique

المؤسسة الوطنية للبحث العلمي

L'Onderzoeksraad K. U. Leuven

L'Inter-University Pole of Attraction 34/ K. U. Leuven Partner

La Nationale loterij

– سفارة بلجيكا في دمشق

– بالنسبة لألمانيا:

La Deutsche Forschungsgemeinschaft

La Förderverein Tell Beyder e. V. et ses sponsors

ومن فرنسا:

– اللجنة الإستشارية للبحوث الأثرية في الخارج (وزارة

الشؤون الخارجية)

– المركز الوطني للبحث العلمي

– المدرسة العملية للدراسات العليا

– المعهد الفرنسي لآثار الشرق الأدنى

– سفارة فرنسا في دمشق

بالنسبة لإسبانيا:

– سفارة إسبانيا في دمشق

(معهد التعاون مع العالم) في مدريد. وللإختصار فإن المركز الأوروبي ECUMS مركز يضم المسؤولين عن جامعات أوروبية مشتركة وهي:

– جامعة لوفين الكاثوليكية الحرة (KUL): مؤسسة المشروع

– جامعة بروكسل الحرة (ULB): مؤسسة المشروع

– WWUM – في مونستر (منذ عام ١٩٩٣)

– جامعة شارك ديغول – ليل الثالثة (من ١٩٩٢ حتى ١٩٩٣)

– جامعة مدريد الحرة UAM (من عام ١٩٩٤ حتى ١٩٩٦)

– جامعة كافوسكاري دي فينتسيا UCFV في البندقية (منذ ١٩٩٧)

– مؤسسات تتعاون في هذه المشاريع الخاصة ICMA في مدريد.

وذلك بهدف تنظيم وتمويل ونشر البحوث الأثرية عن موقع تل بيدر وتطوير الدراسات المتعلقة ببلاد ما بين النهرين العليا (سلسلة سوبارتو).

وهذا المركز أيضاً على صلة دائمة مع بقية الجامعات الأوروبية (في برلين، ليزنغ، أوكسفورد...) والأمريكية على الصعيد الأثري وفي الميادين التاريخية، وقراءة الكتابات، والميدان الإيكولوجي. وإن التطور الحديث لمشروع واسع مخصص للبيئة، والذي بدأت جامعة لوفين الكاثوليكية الحرة بشكل رئيسي بتنفيذه أتاح تلمس آفاق جديدة للتعاون واستشفاف نشاطات جديدة قائمة على بحث ميداني شامل.

ويرأس المركز الأوروبي مارك لوبو، ويضم مجلسه العلمي الرئيس وممثلي الجامعات المشتركة رسمياً وحالياً هم:

– كاريل فان ليربرج (من جامعة لوفين الكاثوليكية الحرة)

– فيليب تالون (جامعة بروكسل الحرة)

– جواكيم برتشنايدر (WWUM)

– ولوتشيو ميلانو (من جامعة كافوسكاري دي فينتسيا).

وإن تطور المركز الأوروبي ECUMS وإسهام المديرية العامة للآثار والمتاحف والدعم المستمر من قبل الجامعات المشتركة كل ذلك يتيح للعديد من الطلاب والباحثين الشباب أن يكونوا على صلة بالمختصين، والدخول إلى المراكز والخبر من الدرجة الأولى،

– وزارة الشؤون الخارجية

بالنسبة للإتحاد الأوروبي :

– برنامج Med-Campus 95 (جامعة حلب، ليدن، لوفين،

مانشستر، اليرموك)

وأسهم هواة خاصون بنجاح المشروع، ونعبر لهم عن شكرنا بحرارة على عطايهم، وينضم لهؤلاء الأشخاص مؤسسات آمنت بقيمة المشروع العلمي، ومن بينها كان الأكثر سخاءً Petro Fina وبخاصة المؤسسة العامة البلجيكية.

وإن ميشيل برتان من جهة، ومؤسسة Promethea من جهة أخرى لم يوفرا جهداً في سبيل مساعدتنا في الإتصال بالقطاع الخاص.

وإن مهندسينا حميد رضا صابوني، محمد جراد، أندره ستيفن جعلونا نفيد من خبراتهم في البناء وفي إدراك وتحقيق إطار حياة جيدة، فشيء بيت البعثة بتقاليد واسعة من الآجر المجفف. وإن هذه التنقيبات الأوربية، ثم السورية الأوربية لم يكن لها وجود لولا الاتفاق مع أصدقائنا وزملائنا السوريين ولولا تشجيعهم، ونود أن نذكر في مقدمتهم د. علي أبو عساف، د. سلطان محيسن المديرين العامين للآثار والمتاحف وعدنان البني مدير التنقيب، نسيب صليبي مساعد مدير التنقيب، جان سيمون لازار المسؤول عن إدارة آثار الحسكة، أسعد محمود مدير متحف دير الزور، ونقدم شكرنا الجزيل باسم فريق العمل لكافة العاملين في المديرية العامة للآثار والمتاحف.

التنظيم المعماري والعمارة

م. لوبو + ي. برتشنايدر

تعريب: ه. عمران

تل بيدر (م. ل.)

يعود تل بيدر إلى عصر البرونز القديم (الألف الثالث ق.م)، وهو مدينة دائرية الشكل مساحتها ٢٨ هكتاراً، تقع على بعد ٣٥ كم شمال غرب الحسكة في الجزيرة السورية العليا. وقد تمت حماية المدينة القديمة بسورين دفاعيين تخترقهما سبعة أبواب.

كما توجد بلدة أسفل هذا الموقع المستدير بمساحة حوالي ٤٠ هكتاراً، أنشئت في الفترة الميتانية خلال القرن الخامس عشر أو الرابع عشر ق.م، وهُجرت ثم بُنيت من جديد في الفترة الآشورية الحديثة (بيدر II).

المدينة المستديرة العائدة للألف الثالث (بيدر I) (م. ل. ج. ب. في الموقع F)

يتألف الشكل الطبوغرافي لتل بيدر من دوائر متحدة المركز، وقد أنشئ الموقع على طرف وادي الأعوج الذي يصل إلى مدينة ماردين. ويبدو أن الموقع مر بمراحل تطور مختلفة كتلك التي مرت بها مدن الألف الثالث (فترة السلالات المبكرة)، وقد أعيد بناؤه في الفترة السلوقية في القرن الثاني ق.م على شكل قرية كبيرة تميزت بالمنازل المؤلفة من غرفة واحدة.

– موقع التنقيب H

يقع موقع التنقيب H قرب البوابة الشمالية لسور المدينة الشمالي، وقد فقدت الأسوار شكلها وتم هدم أجزاء منها في وقت مبكر، وقد أظهرت التنقيبات السطحية طبقة DA III تعود لعصر السلالات المبكرة الثالثة، وهي تتألف من بُنى إنشائية صغيرة قد تكون على الأرجح ورشات عمل، وتم بناء هذه الطبقة على أساسات تم إنتراعها من الأسوار، وقد كانت الأسوار سميكة والتصقت بعض المنشآت الصغيرة كاليوت والورشات التي يعود

– موقع التنقيب G

تم فتح موقع التنقيب G على المنحدر الشمالي للمدينة العليا على شكل سبر متدرج للسويات، وقد ظهرت ثلاث طبقات سلوقية، تليها عدة طبقات استيطان تعود لعصر السلالات المبكرة الثالثة (٢٥٠٠-٢٤٠٠ ق.م) على شكل مساكن خاصة، ثم ظهرت طبقات الإستيطان العائدة لعصر السلالات المبكرة الثانية حوالي القرن السابع والعشرين، وقد تأكدنا من وجود سور يحيط بالمدينة العليا بعرض لا يقل عن ٥ م.

– موقع التنقيب E

تم فتح موقع التنقيب E في الجزء الشرقي من التل، وقد تم الكشف عن مبنى إداري يعود لعام ٢٥٠٠ ق.م بطول ٢٦ م وعرض ٧،٥ م، وهو ذو شكل طولاني ويتألف من أربع غرف مربعة متتالية متساوية في المساحة، وقد توضع المدخل في الغرب وهو يفتح إلى داخل المدينة، وتتصل الغرف مع بعضها بواسطة فتحات مغطاة بالقبوات، وعند التنقيب في الطبقة الواقعة أسفل المبنى، ظهرت منشأة أخرى مؤلفة من صفوف على شكل شبكة، وعادة ما يستخدم مثل هذا النظام في البناء لتخزين الحبوب، ورغم عدم وجود أي أثر يدل على وجود الحبوب إلا أنه يمكن طرح مثل هذه النظرية.

– موقع التنقيب F (الأكربول)

يعلو الأكربول الصغير المركزي للمدينة العليا بحوالي ٧ م والسهل بحوالي ٢٧،٥ م، وقد تم بناؤه فوق الأجزاء العليا المنهارة من

مجمع إداري، وقد أظهرت التنقيبات تحت طبقة سلوقية وطبقتين للإستيطان الأكادي بناءً كبيراً يعود لفترة السلالات المبكرة الثالثة. منسوب السلالات المبكرة الثالثة (البناء فوق مخطط سابق).

يحمل القصر سمات فترة السلالات المبكرة الثالثة (٢٥٠٠ ق.م)، فجدرانه مبنية من الآجر الفاتح الأجوف، وقد كان مؤلفاً من ١٥ غرفة وفسحة سماوية في مخططة الأساس قبل أن يعاد إستعماله وترتيبه في فترة السلالات المبكرة الثالثة، ورغم دمار جزء من هذا المبنى في فترة السلالات المبكرة الثالثة، ولا سيما في زاويته الشمالية الغربية الناجم عن إنزلاق الأرض تحته، إلا أنه يمكن بسهولة إعادة تصور مخطط القصر، وقد كان للقصر طابق ثان على أكثر من نصف مساحة الطابق الأرضي، وكان مستطيل الشكل، تبلغ أبعاده ٣٢م × ٢١م تقريباً، وقد توضع المدخل في وسط الواجهة الشرقية، ويتم الدخول إلى بهو إستقبال ثم فسحة سماوية مربعة تحيطها من جهتين أروقة محمولة على دعائم مربعة.

تتطابق خواص مخطط المبنى الأساس مع خواص العمارة الإدارية في بلاد ما بين النهرين في الألف الثالث، المؤلف من فراغات مركزية محاطة بأجنحة مؤلفة من غرف صغيرة، ويتميز المبنى بنوعية بنائه ووضوح مخططه وفقاً لتقاليد عمارة ما بين النهرين. منسوب عصر السلالات المبكرة الثالثة (المرحلة الثانية من البناء وتعديل المخطط):

لقد أدى إختفاء زاوية المبنى الشمالية الغربية إثر زلزال إلى قيام مستثمري المبنى بتعديل جذري لبنية المنشأة، ويبدو أنه حوالي عام ٢٤٥٠-٢٤٠٠ ق.م، نفذت موارد سيد المكان، ولم يتمكن من استكمال بناء القصر الذي كان حوالي نصف جدرانه قد دُمر أو عُدل، وقد تم إشغال الجزء الذي بقي سليماً من المبنى في النصف الغربي من القصر، وقد تم ملء الغرف حتى إرتفاع مترين بالآجر المفرغ أثناء بنائها بالآجر الأحمر، ويلاحظ أن نوعية العمارة قد تراجعت مقارنة بالمرحلة الأولى، وقد وجدنا الجدران في حالة استثنائية من الحفظ، وقد حفظت بعض الأبواب على كامل إرتفاعها، كما تم العثور على ٢٠ رقيماً داخل القصر، تحمل ملامح أثرية تعود إلى مرحلة إشغال المبنى الثانية في عصر السلالات المبكرة الثالثة.

لقد تم تأسيس المرحلة الأولى على منشأة مؤلفة من ثلاثة فراغات رئيسة متتالية: الباحة ذات الدعائم وغرفتان مستطيلتان، وقد

أحيطت هذه الفراغات الثلاثة بغرف للخدمة، ويمثل هذا التابع لساحة سماوية وفراغين ممتدين أحد أهم ميزات العمارة الملكية في بلاد ما بين النهرين منذ عام ٢٠٠٠ ق.م، ويبدو أن هذه المنشآت كانت تستخدم للإستقبال ومن الممكن أن يكون تل بيدر قد أظهر إحدى أقدم المنشآت الملكية العائدة لعصر السلالات المبكرة الثالثة، ولا يمكن إهمال هذا التاريخ المعماري لأنه يمثل تجديداً أفرزته حضارة الجزيرة السورية العليا.

- السويات الأكديّة:

هُجر مبنى المرحلة الثانية وإنهار في نهاية فترة السلالات المبكرة الثالثة، وفي السنوات الأولى من حكم سرغون حوالي عام ٢٣٥٠، تمت إعادة تنظيم القطاع المركزي من المدينة، فتم إنشاء مبنى جديد جنوب المبنى الإداري ماتزال وظيفته مجهولة لنا حتى الآن، ويتألف من مجموعة من الغرف علينا معرفة نمط تنظيمها، وفي وقت لاحق خلال القرن الثالث والعشرين ق.م، في فترة قريبة من فترة نارام سن، هُجر تل بيدر تقريباً، ولا يظهر فيه سوى مبنى مربع على قمة الموقع، أبعاده متواضعة ويتألف من غرفة واحدة تتميز بوجود دعامة مركزية ومنصتين ومذبح، ويبدو أنه كان معبداً.

موقع التنقيب B:

ظهرت في هذا الموقع طبقة سلوقية ثم حي سكني يعود إلى فترة السلالات المبكرة الثالثة، ويتألف الحي من جزر من المنازل المتلاصقة تشكل نسيجاً عمرانياً متماسكاً يتم توصيل المياه إليه بواسطة ممرات صغيرة مائلة مجهزة بقنوات من الحجر، ولم يتم إكتشاف أي منزل كامل في تل بيدر بل أجزاء من مخططات لسته أو سبعة منازل محددة من جهتين بالممرات، وقد تم العثور تحت أرضية منزل مؤلف من ثلاث غرف على ١٤١ رقيم تعود للألف الثالث أي ٢٤٢٥-٢٤٠٠ ق.م.

المدينة المنخفضة (بيدر II) (ج. ب.):

يحد المدينة المنخفضة من الغرب تلة بازلتية ومن الشرق التل، وهي ذات مساحة كبيرة لكنها غير واضحة المعالم، وهناك تم فتح موقع التنقيب I حيث تم العثور على جدران مسكن آشوري حديث، وتحت منسوب هذه الطبقة عثر على سيراميك أقدم أكثره

كُسر من سيراميك نوزي من الفترة الميمنية (القرن ١٤ ق.م)، كما
عثر على بعض البقايا المعمارية ضمن هذه السوية الميمنية تعود
لمنزل صغير وقاعدة مستديرة لمخزن للحبوب وجدران لبعض المنازل،
مما يعني أنه كان على الأرجح حياً سكنياً.

الأختام الاسطوانية السورية والاكتشافات الجديدة في تل بيدر: تطورها والمشاهد التي قدمتها بين ٣٣٠٠ حتى ٢٢٠٠ ق.م

ي. برتشنايدر + ج. قويت
تعريب: ب. زهدي

مجرى الفرات الأعلى، محفوظة جيداً، وتبرهن على استخدام الأختام الإسطوانية في سورية منذ العصر القديم. كما عثر أيضاً في منطقة الخابور على دلالات عديدة من ثقافة تعود لعصر الوركاء (أوروك) - جمدة نصر، حيث كان تل براك مركز هذه المنطقة، وعثر على تئاتم صور ممهورة وطبعات أختام على أواني من هذه الفترة، وذلك قرب أماكن العبادة وغيرها من المباني. ويصور فن الحفر غالباً زخرفة تمثل صفاً من الحيوانات، الذي يمكن تفسيره بسهولة، أنها حيوانات أليفة. إن أمثال هذه المشاهد قد فسرت أنها حيوانات مشتركة مع قطعان المعبد، التي يملكها الملك السادن. وهناك مجموعة أخرى من المشاهد تظهر نساء ورجالاً يصنعون الأواني، في مشهد صناعة الفخار، ونقل البضائع أو أيضاً فعاليات التخزين.

إن العديد من طبعات الأختام، التي ظهرت إلى حيز الوجود عند القيام بالتنقيبات الأثرية في تل بيدر، تدل في تنوعها على صلة وثيقة مع التقليد الثر لبلاد ما بين النهرين، ولكنها تدل بمعنى أدق، على نوعية فن حفر الأختام في سورية الشمالية، وبشكل أكثر تأكيداً أيضاً، على العلاقة القوية التي تجمع الموقع مع المدينة المجاورة (تل براك). وهذا الارتباط مشهود أيضاً في المصادر المكتوبة، وتقدم الرقم السمارية في تل بيدر دلالات واضحة على صلة إقتصادية وسياسية بين هذين المركزين. وفي السطور التالية نستعرض، وبلاستناد إلى الطبعات التي وصلتنا، وصف الإطار التاريخي والجغرافي، الذي تشكل فيه سجل لفن صور المجتمع في بيدر.

١ - من عصر الوركاء (أوروك) حتى عصر جمدة نصر (حوالي ٣٣٠٠-٢٩٠٠ ق.م):

إن طبعات الأختام الإسطوانية الأكثر قدماً و المكشوفة في سورية كانت ملصقة على ختم الأواني أو الأبواب وعلى أقراص طينية، وعلاوة على هذا الاستخدام، فقد بُدئ شياً فثيئاً بلصق الأختام على الرقم.

- حوبة كبيرة وتل براك: إن العديد من اللقى التي تعود إلى عصر الوركاء (أوروك)، وعثر عليها في حوبة كبيرة الجنوبية، في

٢ - عصر السلالات البدائية (حوالي ٢٩٠٠-٢٣٥٠ ق.م)
لاتزال حتى الآن نهاية عصر جمدة نصر والفترة الأقدم من عصر السلالات البدائية (نحو ٢٩٠٠-٢٣٠٠ ق.م) غامضة بشكل كبير بالنسبة لمادة الأختام السورية، والتي هي حتى يومنا هذا محدودة نسبياً. وبالإضافة لقطع الإستيراد التي مصدرها من منطقة دياللا، وجنوب بلاد ما بين النهرين ومن إيران. يوجد أختام بأشكال هندسية وتجريدية من أصل سوري قريبة من أختام العصر السابق.

وكذلك البضائع ومعها الزخارف المشاهدة على طبعات الأواني المنتشرة في سوق واسعة بواسطة طرق تجارية بين الجنوب (سومر وسوسة) والشمال (سورية وفلسطين).

- **تل خويبره:** تذكر الأختام المكتشفة في تل خويبره للدلالة على المرحلة الوسطى من عصر السلالات البدائية (نحو ٢٧٠٠-٢٥٥٠ ق.م.)، فهذه الأختام طبعت عليها مشاهد هندسية خالصة، وصفوف أشخاص ساكنة. إن خصائص الأختام المصنوعة في تل خويبره، هي الزخارف مثل الورود، والمثلثات والنباتات والأسماك وأيضاً العقارب التي أدرجت في المشاهد الأكثر تعقيداً. وهناك مجموعة أخرى تظهر تشابهاً ظاهراً مع أختام مصدرها من جنوب بلاد ما بين النهرين. إن المشاهد المهيمنة في هذه المجموعة هي مشاهد مآدب وأيضاً مشاهد صفوف من الأشخاص. إن مشاهد الصراع بين أسد وحيوان من قطيع هي من المشاهد المألوفة، وفي المشاهد الأكثر تعقيداً يظهر أيضاً إنسان يوصف بالبطل يتصرف كحامي للحيوانات، وهو كائن غريب شيطاني، الإنسان الثور، أو أيضاً النسر برأس أسد المشهور باسم (آنزو).

وفي النصف الثاني من الألف الثالث ق.م. أمكن للمرة الأولى تاريخياً إدراك تشكل مراكز السلطة، والتي تحكم منطقة واسعة في سورية. وإن مدناً مثل ماري (تل الحريري) وإبلا (تل مردوخ) وناجار (تل براك) التي يمكن وصفها بـ «مدن - دول»، كانت تبدو أنها تمارس مراقبة مساحات واسعة. وتعرف على خصائص سورية محلية على صعيد الأسلوب والموضوع في طبعات أختام قصور إبلا وتل بيدرخصوصاً، وفي طبعات مصدرها مستودع تل موزان.

- **ماري:** إن الوثائق المنشورة حتى الآن بخصوص أختام ماري، تعكس صورة غير متجانسة أسلوبياً، وإن النماذج المعروفة تجعلنا نفكر بوضوح ببلاد ما بين النهرين الجنوبية. وارتبطت ماري التي كانت بكل تأكيد المدينة الأكثر أهمية في حوض الفرات الأوسط في عصر السلالات الأولى، بوضوح ثقافياً بالجنوب أكثر من المدن الأخرى السورية. إن أختام (كتر أور) المكتشفة في قصر ماقبل عصر صرجون في ماري متأثرة بالفن السوري بشكل كبير.

- **إبلا:** اكتشفت في قصر إبلا طبعات أختام كبيرة الأبعاد نسبياً، وعليها مشاهد تظهر سلسلة أشخاص، ومع ذلك ليست هناك أية صلة أسلوبية مباشرة لا يمكن التعرف عليها بينها وبين مشهد

معروف. جرت محاولة إجراء مقارنة مع الكتابة الإبلانية، والتي رغم أصلها البابلي الظاهر اختارت دائماً طريقاً خاصاً نسبياً.

- **تل براك:** أرخت مجموعة من طبعات تل براك بعصر يتراوح بين عصر السلالات الأولى والعصر الأكادي. إلى جانب زخارف هندسية خالصة، وصفوف حيوانات ومشاهد مبسطة. أما المجموعة من الأختام المستوحى موضوعها من صف من الأشخاص ومشاهد مآدب فهي علامة أختام تل براك بشكل خاص، وتمثل المواضيع التي تعالج معركة بين حيوانات بشكل رمزي، كما تختلط مجموعات الزخارف الكلاسيكية الرافدية في مشاهد الصراع الفوضوي. وقد أضيفت رسوم العقارب والطيور والرسوم الهندسية إلى الزخرفة، ونلاحظ في هذه المجموعة الخوف من الفراغ. وهناك مجموعة أختام غيرها تمثل صفين متدرجين من الزخارف، ونطاق أفقي مزخرف يفصل المشهدين، وهي سمة مميزة لفن الأختام السورية، وإن المآدبة تشكل الصف الأعلى، أما في القسم الأسفل غالباً ما تكون الحيوانات في صف بشكل مطبوع.

تل بيدر: تنسب حوالي ٧٩٠ طبعة ختم إلى الفترة الأحدث من الإشغال في القصر المؤرخ بعصر السلالات الأولى. وأن العديد من الطبعات مشابهة لطبعات مصدرها من تل براك، وبالتحديد مشاهد صفوف رؤوس كائنات غريبة، وتكون أحياناً متداخلة في مشاهد بحرية أو معارك. ومع ذلك، فإن مشاهد المآدبة المكتشفة في تل بيدر تذكرنا بنماذج مصدرها من بلاد ما بين النهرين وتختلف جذرياً عن النماذج التي لها سمات مشاهد تل براك. وهناك مجموعة غيرها من الأختام مصدرها من القصر، عليها الزخارف الكلاسيكية مثل صف الأشخاص، صف الحيوانات، آنزو والمآدبة. وعثر في غرف القصر على طبعة ختم ملصق بشكل مألوف على الطين، إن هذا الختم يختلف عن غيره من أعمال هذه المجموعة ليس فقط، من حيث نقشه، بل أيضاً بغنى التفاصيل فيه، ويفترض أنه ختم إداري رئيسي في تل بيدر.

٣ - العصر الأكادي ٢٣٥٠-٢٢٠٠ ق.م:

وإن كانت سلالة أكاد لم تحكم بلاد ما بين النهرين سوى ١٥٠ عاماً، فإن الفن خلال هذه الفترة القصيرة قد وصل إلى قمة لا مثيل لها. وعرف فن حفر الأختام أيضاً تجديداً أسلوبياً وتصويرياً. واحتل موضوع المعارك بين الحيوانات، وهو ما كان مشهوداً سابقاً في العصر السابق للسلالات الأولى، مكانةً أساسية، ولكن تأليف

الموضوع أصبح أكثر توازناً وأكثر قوة. و بالتوازي أيضاً، ازدادت المشاهد التي تمثل العالم الإلهي. ويجب الإشارة في هذا الموضوع الى بعض التقديس الذي يلقاه عالم الآلهة: إذ يشاهد كيف استقرت أنماط عرض الأرباب الذين تفردوا بخصائص وملابس مميزة.

تل براك وتل بيدر: أظهرت التنقيبات الأثرية في تل براك طيلة ثلاثين سنة آثاراً رائعة من العصر الأكادي. وتظهر هذه المكتشفات أهمية هذه المدينة ودورها المركزي في الإقتصاد وسياسة بلاد ما بين النهرين. وقد شيد فيها الملك نارام - سين قصراً، لا بل قلعة كانت تدار منها المنطقة. وضمن البنية التحتية أيضاً يوجد مخزن واسع اكتشف فيه العديد من طبعات الأختام، ولكن العناصر التي تدل على أسلوب تصويري محلي نادرة جداً، فمعظم الطبعات ربما كانت من مصادر جنوبية مثل مشاهد معركة بين أسد وإنسان ثور. وبالنسبة لمادة أختام تل براك، نرى أيضاً مشاهد عديدة للأرباب المتماثلة برمزها مثلاً رمز حزمة أشعة لرب الشمس. وهناك مشهد

يمكن مقارنته به قد اكتشف أيضاً في تل بيدر: حيث وجد في مسكن متأخر من جناح القصر للسلاسل الأولى الذي يمكن تأريخه بعصر آكاد، ختم عليه مشهد لأرباب متفردين بشكل واضح.

تل موزان: لقد سمحت التنقيبات الأثرية الحديثة في تل موزان أيضاً، بحصاد غني من طبعات أختام من العصر الأكادي، وبفضل هذه الكتابات، أمكن ربطها بالعائلة الملكية. وتستمد أهمية هذه الأختام من أنها تقدم البرهان القطعي لمطابقة اسم الموقع بمدينة أوركيش الحورية، التي أضحت معروفة بفضل أنباء الصحف العالمية عن اكتشافها. وإن الشيء الملحوظ بشكل كبير في طبعات الأختام التي مصدرها مخازن أوركيش الملكية، هو بكل تأكيد الأسلوب الحوري الجديد للمشاهد، إنه أسلوب مدهش تماماً، ومختلف عما نعرفه حتى الآن في بلاد ما بين النهرين، وأيضاً في المواقع المجاورة لها في الجزيرة مثل تل براك وتل بيدر.

الأبحاث البيئية

ر. ديكورت + ك. فان ليربيرج

تعريب: هـ. عمران

عالم الكتابة:

يظهر المعرض بوضوح نشأة الكتابة وتطورها في سوريا، لكن ماهي معلوماتنا عن الإنسان الذي كتب بالأحرف المسمارية؟ من هو؟ كيف عاش؟ ماذا كان يأكل؟

تعطينا نصوص تل بيدر بعض المعلومات عن تربية الحيوانات والزراعة في المنطقة، لكنها لا تتحدث عن مظاهر الحياة اليومية الأخرى، ويتم حالياً بفضل الدراسات المتعددة الأوجه إعادة تصور الواقع البيئي في الماضي، ولذلك فقد قام كل من كارل فان ليربيرج وغابريلا قويت من جامعة لوفين الكاثوليكية بوضع برنامج بهذا الخصوص بالتعاون مع عدة مخابر في أنحاء العالم، وقد تم نشر هذه النتائج عام ١٩٨٨، ولتوضيح المعطيات العلمية التي أخذت بعين الاعتبار في هذه الدراسة لزايري المعرض، فقد تم إختيار مثال قبر الأكروبول في تل بيدر. (الصور والمخططات في الكاتالوج).

رؤية شاملة للمعطيات المختلفة الداخلة في الدراسة:

تمت دراسة الفخار الذي وجد في القبر من وجهة نظر تقنية، فتم تحليل الصلصال والألوان ودرجة حرارة الشي وتقنيات التصنيع، كما قام خبير بالنباتات مختص بالمرحلة الباليوليتية بدراسة الحبوب لمعرفة نوع الزراعة في الماضي، ثم تمت مقارنة النتائج بالنصوص الأثرية، وقد اعتمدت الزراعة وتربية الحيوانات على الظروف المناخية لذلك تمت دراسة جيولوجيا المنطقة ومناخها، فقد تم تحليل الغضار والجبس المستخدمين في أبنية تل بيدر، وتم حساب مقاومة هذه المواد للوصول إلى تصور علمي محدد لشكل هذه الأبنية. كما تمت دراسة الأدوات المعدنية والأحجار الكريمة المكتشفة في القبر للوصول إلى فكرة عن أصولها، وتمت مقارنة النتائج مع تلك التي تم الحصول عليها في المواقع القريبة مثل تل براك وتل

ليلان وتل موزان، وقد استطعنا استنتاج وجود طرق تجارية لمسافات بعيدة. لكن إعادة تصور الطرق ذات المسافات الطويلة أو الطرق المحلية تطلب رسم خارطة للمواقع الأثرية والطرق في المنطقة وقد تم ذلك بالاستعانة بالصور القديمة والمعطيات الأثرية والنصوص.

لقد قادنا اكتشاف طائر في القبور إلى الاستعانة بعلم دراسة الحيوانات القديمة ليساعدنا على معرفة أنواع الحيوانات التي وجدت في الماضي في منطقة تل بيدر، وأخيراً كان لإكتشاف الهيكل العظمي المدفون في القبر دوراً مهماً في الحصول على معلومات عن سكان تل بيدر، فدرس عالم الأنتروبولوجيا الإنسان القديم وجنسه ونظامه الغذائي وأمراضه... إلخ، ومنذ بضعة سنوات تم إدخال نوع جديد من العلوم هو علم الآثار الجزيئي، وهو يعطي فكرة أوضح عن الإنسان القديم.

علم جديد مشير: علم الآثار الجزيئي:

خلال الأعوام الماضية لقيت بقايا الإنسان القديم إهتماماً متزايداً من قبل علماء أجناس الشعوب، وبظهور تقنية التفاعل المتسلسل لعملية البلمرة (Polymérase (PCR، فقد أصبح بالإمكان الحصول على معلومات جينية من كميات صغيرة من الحمض النووي DNA حتى ولو كانت متضررة ومأخوذة من عينات قديمة (Rogan, Salvo 1990)، وقد ظن العلماء في البداية أنه لا يمكن استخدام إلا العينات المحفوظة بشكل صناعي (كالمومياءات) أو بشكل طبيعي ضمن ظروف خاصة (كما في المناجم والأحافير)، ولذلك فقد كان لنشر النتائج الأولى لدراسات الحمض النووي DNA المستخرجة من العظام والأسنان القديمة ضجة كبيرة مقارنة بالدراسات السابقة، وتعتبر النسيج القاسية مصدراً مهماً للبقايا الإنسانية عندما تكون التنقيبات صعبة، وتشكل الأسنان بشكل خاص عينات مهمة للدراسة، ويعتبر لب السن مصدراً مهماً للحمض النووي DNA،

لسكان سورية القدماء في فهم أكبر للتاريخ الجيني للسكان الأوروبيين، فالزراعة الأوروبية نشأت في الشرق الأوسط منذ حوالي عشرة آلاف سنة في سهول ما بين النهرين والمنطقة الجبلية في الأناضول، وبدأت بالانتقال إلى أوروبا عبر البلقان ومناطق المتوسط، حتى غطت كامل المناطق الملائمة للزراعة في أوروبا حوالي عام ٣٥٠٠ ق.م، وإذا كان بالإمكان تحديد طرق انتشار الزراعة وتاريخها، إلا أنه لا يمكن تحديد ظروف انتقالها، ومن الممكن أن يكون انتشار الزراعة قد أدى إلى زيادة الكثافة السكانية في مناطق نشأتها وفي المناطق التي انتقلت إليها، كما يمكن أن يكون قد أدى لتغيير جيني بين مزارعي العصر الحجري الحديث وصيادي العصر الحجري الوسيط، لقد قدم تحليل الزمر الدموية والأشكال المتعددة للبروتينات للشعوب الأوروبية المختلفة البراهين التي دعمت هذه النظرية، فالاختلاف الجيني بين المناطق الأوروبية المختلفة يظهر وجود علاقة مؤكدة مع انتشار الزراعة (Sokal et al. 1991). كما يساهم تحليل التنوعات الجينية في بقايا الإنسان القديم في مواقع سورية الأثرية وفي مناطق من أوروبا في إعادة تصور التاريخ للشعوب الأوروبية.

منهج البحث:

- استخراج الحمض النووي DNA

تتم حالياً دراسة بقايا الأشخاص الثمانية التي تعود للفترة الواقعة بين عامي ٢٧٠٠ و ٢٠٠٠ ق.م في مركز دراسة الجينات الإنسانية في جامعة لوثن الكاثوليكية، وتتألف العينات في أغلبها من قطع عظمية بعضها محفوظ بشكل جيد (كالفقرات) وبعض الأسنان، ومنعاً لحصول أي تشويش في النتائج توجب إزالة الطبقة السطحية للعظام، ليتم بعدها طحنها في آلة (مطحنة مجمدة) واستخراج الحمض النووي DNA وفق طريقة خاصة (Höss et al. 1993) التي ثبت مطابقتها تماماً للحمض النووي DNA المستخرج من هياكل عظمية من مرحلة Pleistocènes من الحقبة الجيولوجية الرابعة.

- تعدد الأشكال:

يهتم التحليل الجيني الجزئي للبقايا الإنسانية القديمة في تل بيدر بتعدد الأشكال النووية والميتوكوندريا، فالجينات الميتوكوندريية هي مفتاح إعادة تصور تاريخ المستوطنات الإنسانية القديمة إذ تتم

فهو محمي بالسطح الخارجي للسن، وفي حين يجب كسر العظم للحصول على الحمض النووي DNA، فإنه يكفي إحداث ثقب صغير في السن للوصول إلى اللب. إذا تغدو هذه المقاربة مهمة لدراسة الحمض النووي DNA القديم من أجزاء مقتطعة من الحنك.

تستطيع المعلومات عن علم الوراثة المستقاة من دراسة الحمض النووي DNA أن تكمل وتوسع المعلومات المأخوذة من الدراسة الإنترولوجية الإنسانية، فهذه البقايا تكون مبعثرة في بعض الأحيان لدرجة لا تمكن تحديد جنس الإنسان بالطرق التقليدية المتعارف عليها، وعندها يحدد تحليل الحمض النووي DNA البديل الموثوق به عن نوع الجنس. كانت دراسة الخواص التي يخمن أنها وراثية للهياكل العظمية سابقاً هي الأساس لتحديد صلات القرى بين البقايا الإنسانية في المقبرة الواحدة سواء كانت لأعضاء من أسرة واحدة أو لعدة أسر أو لمجموعة من الناس ليس بينها صلة قرى. ولكن هذه الدراسة أقل دقة من تحليل الحمض النووي DNA المتعدد الأشكال في الحمض النووي DNA القديم. لذلك إن دراسة الحمض النووي DNA القديم ودراسة البقايا الإنسانية مكنا من تقديم مساهمة مهمة لمعرفة المواقع الأثرية وتحركات المجموعات البشرية في الماضي.

التحليل الجيني الجزئي للسكان في تل بيدر:

يقع تل بيدر عند ملتقى طريقين تجاريتين رئيسيتين برتين تربطان إيران بالأناضول وبلاد ما بين النهرين بالبحر الأبيض المتوسط، فكان مركزاً للتبادل الثقافي وطريقاً لهجرات متعددة للسكان، وتعود النصوص المكتشفة في الموقع للألف الثالث ق.م، وقد كُتبت بلغة سامية، وتظهر هذه النصوص أن تل بيدر كان في الماضي جزءاً من مملكة ناغار (ومن المرجح أنها تل براك الحالي). وأنه كان تحت السيطرة الحورية الميتانية في الألف الثاني ق.م، ثم تبع الإمبراطوريتين الآشورية والسلوقية، مما يعني أن البقايا الإنسانية القديمة في تل بيدر تعود لمجموعات سكانية مختلفة.

يظهر التحليل الجيني لسكان تل بيدر القدماء العلاقات المتبادلة في الماضي بين هذا الموقع والمواقع الأثرية في سورية الشمالية مثل تل ليلان وتل براك، ويسمح ذلك بفهم أوسع لكيفية حصول الهجرات في الماضي، وسنرى مقدار تطابق هذه النتائج مع الاكتشافات الأثرية والأنثروبولوجية. أخيراً تساهم الدراسة الجينية

- المراقبة ومعايير الدقة:

بعد الحصول على المعلومات الجينية من الحمض النووي DNA القديم، علينا التأكد من أن هذه المعلومات تعود فعلاً للعينة التي تم تحليلها، وقبل البدء بدراسة الحمض النووي DNA القديم يجب التأكد من عدم حصول أي تلوث في المخبر، ويمكن تحقيق ذلك بالقيام بالفصل الفيزيائي لمراحل العمل المختلفة عن بعضها كاستخراج الدنا و PCR وتحليل PCR عن بعضها، وباستخدام الفحوصات كالاستخراج التجريبي (ليس للمادة العظمية) وبالفحوص السلبية (ليس للحمض النووي DNA) وبالفحوص الإيجابية.

كما يجب أن تثبت المعلومات الجينية التي تم الحصول عليها من الحمض النووي DNA القديم باستخراج جديد للحمض النووي DNA من عدة أماكن من نفس العينة أو لنفس الفرد.

كما لا بد من تأكيد هذه المعلومات بدراسة العينات في مخبر آخر إذا كانت كافية، كما يجب دراسة عدة أجزاء من العينة، وأخيراً التأكد من جنس الإنسان باستخدام PCR الذي سيكون فحصاً إضافياً لصحة الحمض النووي DNA القديم.

الخلاصة:

يفتح الحمض النووي DNA القديم، وحتى ولو كان تالفاً، مجالات واسعة أمام الأبحاث الأثرية والأنثروبولوجية والجينية، ويمكن أن تؤكد المعلومات الجينية ما إذا كان الإنسان يعود للمقبرة نفسها وأن تعطي معلومات عن هجرات الشعوب والعلاقات فيما بينها، كما تساهم في معرفة تطور الإنسان وتساعد على بناء التاريخ الجيني للإنسان المعاصر.

وراثتها من جهة الأم ولا تتحد أبداً، وهي موجودة بأعداد كبيرة (500-1000) في كل خلية، لذلك لها فرصة كبيرة لتعيش منفردة عند بدء عملية التحلل بعد الموت، وتنحصر أنواع سلسلة الحمض النووي DNA الميتوكوندريالي في منطقتين من 400 bp في (d-loop). ويتم تحليل هذه الأنواع بعد إجراء التكبير بتحليل مسلسل مباشر بواسطة مُسلسل آلي للحمض النووي DNA (Jehae et al. 1994)، وقد أمكن استخدام سلسلة النتائج لإيجاد العلاقات الأسرية من جهة الأم أو لإنشاء الشجرة العرقية التي تظهر العلاقات الجينية بين الشعوب المختلفة، أما العلاقات الأسرية من جهة الأب فلا يمكن تحديدها إلا بتحليل محتويات الجين داخل النوية، لكن التحليل الجيني الجزئي للحمض النووي DNA القديم ليس طريقة مباشرة، ونجاحها غير مؤكد، إلا إذا تمت مضاعفة حساسية الطرق المستخدمة (PCR والهلام المشكل تحت تأثير حقل كهربائي)، ويتم الإهتمام بشكل خاص بمحتويات الصبغي Y والذي توضحت أهميته مؤخراً في مؤتمر (Euro conference: Human Genome Variation in Europe, 1990). تكمل هذه الأشكال المتعددة معطيات الميتوكوندريا (جهة الأم) وتساعد في التحليل العرقي، وأخيراً يتم تحديد جنس البقايا الإنسانية في تل بيدر باستخدام الحمض النووي DNA، وذلك باستخدام طريقة تعتمد على جيني موجود على الصبغي X وله مقابل في الصبغي Y، وهو يسمح بتحديد جنس الإنسان الذي تعود له هذه البقايا، حتى ولو لم تحو سوى القليل من الحمض النووي DNA. وهذه الطريقة ناجعة أيضاً في حال وجود عينات من الحمض النووي DNA المأخوذ من هياكل عظمية قديمة.

تل بيدر في عالم ما بين النهرين

ي. برتشنايدر + م. لوبو + ف. تالون + ك. فان ليربيرج

تعريب: ب. زهدي

متميزة تمارس المراقبة على منطقة مؤلفة من عدة مدن وقرى ودساكر ومنشآت ريفية.

هل يمكن الذهاب أبعد من ذلك!

إن أهمية الحيوانات اللبونة واردة في نصوص بيدر، حيث تشير إلى عدة أنواع من البعير ويعرف أيضاً بأن الحيوانات اللبونة في المنطقة كانت تقدر بشكل كبير في إبل. وإن (الرب شماغان) سيد حيوانات أراضي السهوب البور مذكور أكثر من مرة، ويبدو أن معبداً كان مخصصاً له، وكان سيد (ناجار) ينتقل في كل الحالات إلى بيدر للقيام باداء الأضاحي على شرفه، وإن أحد شهور التقويم يحمل أيضاً اسمه، إذاً إن هذا الرب (شماغان) كان رباً مقدساً بشكل خاص.

من العناصر التي تساعد على استشفاف وظيفة محطة قوافل هامة في منطقة مثالية لتربية البعير - وبشكل خاص - لتأهيل الحصان حتى عهد قريب، لابل معاصر، هو أولاً وجود البرهان في الأختام المحلية على مهنة صانع العربات بدولابن وعربات بأربعة دواليب في بيدر، وكثرة مشاهد العربات والعربات الصغيرة مجزأة أو غير مجزأة، وثانياً الأحاديث المألوفة عن زيارات (إن) أي سيد (ناجار) في بيدر. إن مقومات النجاح لمدينة متوسطة في عصر السلالات الأولى هي وجود إقتصاد مختلط قائم على مراقبة مراكز زراعية صغيرة، وعلى تربية أنواع البعير الخاصة، ومركزها كمرتكز قوي على طريق تجارية كبيرة، وأيضاً وجود مركز لمهن نوعية مختلفة، كما يمكن تقدير عدد سكانها آنذاك بـ ٢٠٠٠ أو ٣٠٠٠ قاطناً.

إن هذه المدينة، التي كانت مزدهرة وربما كانت مستقلة في نحو ٢٥٠٠ ق.م، انتقلت في نحو نهاية القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد إلى فلك (ناجار) دون أن تضطرب أسس إقتصادها. كما حكمتها في نحو ٢٣٥٠ ق.م أي في تاريخ قريب من مجيء

إن التنقيبات الأثرية في تل بيدر تندرج بشكل رئيسي ضمن الإشكالية المعروفة حول أهمية أعالي بلاد ما بين النهرين في نشر الثقافة المدنية في الألف الثالث قبل الميلاد، وتضاف هذه النتائج إلى تلك المستخلصة من التنقيبات الأثرية في براك، ليلان، موزان، خويره، دون أن ننسى متابعة البحوث في ماري وترقا، والعديد من التنقيبات الأثرية ضمن حملة تنقيبات الإنقاذ الجارية في حوض الفرات والخابور. وإن هذا التركيز الأثري الكبير على مراكز البرونز القديم في أعالي بلاد ما بين النهرين يتيح إظهار الدور الرئيسي الذي لعبه هذا الإقليم، ليس فقط على الصعيد الإقتصادي والتجاري ولكن أيضاً في نقل الظواهر الثقافية - التي منها ممارسة الكتابة - وفي خلق مفاهيم أصيلة.

إذا كان تل بيدر يشكل أهم مركز مدني خلال الألف الثالث قبل الميلاد في القسم الغربي من «مثلث الخابور»، لكن من غير الممكن مقارنة حجمه بأهم مدن الإقليم الواقعة إلى جهة الشرق أي تل براك (ناجار) وتل موزان (أوركيش) وتل ليلان (شحنا) أو إلى جهة الغرب مثل تل خويره.

إن ماري هي العاصمة الفعلية الوحيدة لأعالي بلاد ما بين النهرين، حيث كانت مساحتها تبلغ نحو ٢٠٠ هكتار في عصر السلالات الأولى، أي أنها الوحيدة التي يمكن مقارنة أبعادها بأكبر المراكز البابلية المركزية أو بلاد سومر، وبالمقارنة، فقد تبدو تل براك وتل موزان وتل ليلان وتل خويره كمراكز مدنية كبيرة لها أهمية محلية خاصة. وبالمقارنة إلى هذه المدن الواسعة، فإن مدينة تل بيدر في عصر السلالات الأولى كانت تظهر أكثر تواضعاً، فمساحتها ٢٨ هكتاراً، وكان ربع هذه المساحة مسكوناً بكثافة فعلاً. وعلى غرار تل مدينة الهواء، وحمام التركمان وتل خوشي، فإن تل بيدر إندرج في عداد المراكز المدينة المتوسطة الحجم، وأبعادها أقل من المعروفة في إقليمها، ولديها محطات قوافل

صرجون إلى الحكم، القوة الأكادية، وكان ذلك - بدون شك - بداية أفولها السريع.

ولنبحث الموقف على نطاق أوسع.

منذ عشرين سنة فتحت اكتشافات تل مريدخ/إبلا فصلاً جديداً في تاريخ بلاد ما بين النهرين. بعيداً إلى جهة الغرب كانت توجد مملكة سامية كبيرة فيها فعاليات مرتبطة بشكل خاص بالتجارة وتربية الحيوانات، فكان ذلك مفاجأة في عالم الآثار وتاريخ الشرق الأدنى. والمدهش أكثر أن هذه المملكة كانت تعرف الكتابة المسمارية، كما دمجت كل المساهمات العلمية والثقافية لجنوب بلاد ما بين النهرين. وإن إكتشاف رقم تل بيدر (وعدها ١٦٥ حتى يومنا منها ١٤١ في ورشة B و٢٤ في قطاعات أخرى تنقيية) أخذ يتم في أيامنا الصورة المتغيرة دائماً لتاريخ أعالي بلاد ما بين النهرين في الألف الثالث ق.م.

لقد وضع في عام ١٩٨١ عالم الآثار الآشورية (أغناس جليب) اعتماداً على ما يعرف في الوقت الحاضر عن معاملات بين السومريين والأكاديين، وعن الطرق التجارية، وعن البنيات السياسية ومختلف ميادين الثقافة المكتوبة نموذجاً لما دعاه (حضارة كيش)، ومع أن قراءة وثائق إبلا بطيء وصعب، فإن هذا النموذج لم يبق منذئذ إلا بدعم هذا المفهوم، فما هو؟

خلال قرنين سبقا استيلاء صرجون الأكادي على السلطة (نحو ٢٣٥٠ ق.م) هذا العصر الذي يسمى عموماً (ما قبل صرجون) فإن مدينة (كيش)، والتي أضحت ضمن بلاد أكاد فيما بعد، كانت تبدو للمعاصرين ذات مدلول خاص، فمثلاً، إن ملوك سومر أي مدن أقصى جنوب العراق الحالي، التي تسكنها أكثرية سومرية، كانت تتنافس فيما بينها لمدة طويلة للهيمنة على المنطقة، وعندما كان أحدهم يصل إلى تحقيق وحدة البلاد مؤقتاً، يتخذ لقب ملك كيش، وبخلاف المدن الجنوبية السورية، كان القسم الأعظم من ملوك كيش يتخذون أسماء أكادية، وإن القليل جداً من نصوص هذا العصر المجموع في موقع كيش يظهر أيضاً سيادة الساميين في هذه المدينة. إذاً كان شمال بلاد سومر ذا صبغة سامية سائدة وأكادية، في حين أن الجنوب كان سومرياً بشكل واضح. ومن وجهة نظر أدبية وثقافية فإن الأمور تبدو أقل وضوحاً، فالنصوص الأدبية المكتشفة في المواقع (فارا قديماً شوروباك) و(أبو صلابيخ) كتبها نساخون سومريون وأكاديون، حتى وإن كانت مكتوبة بلغة سومرية. يستنتج إذن أن ثقافة بلاد ما بين النهرين

مقسومة ومنذ أقدم العصور بين هذين المؤلفين اللغويين، وإن حضارة بلاد ما بين النهرين منذ البدايات هي ثقافة الطابع.

وقد عُرف أنه كان لمدينة كيش سياسة خاصة وهامة، ومن المحتمل أن هذا تأتى من موقعها الجغرافي الإستراتيجي. فالذي كان يحكم في كيش يجد نفسه تلقائياً المسؤول عن حماية بلاد سومر ضد غزوات الجلبيلين القادمين من الهضبة، ومن ناحية أخرى أيضاً المتحكم في مراقبة التجارة الهامة للمنتجات المستوردة من عيلام (إيران قديماً)، وأهمها تجارة القصدير التي لاغنى عنها في صناعة البرونز.

يمكن أيضاً منذ عهد كيش ضم طريق تجاري آخر، أهميته لم تعرف إلا حديثاً، إنه طريق سفوح الجبال، ينطلق من سومر ويصعد مع نهر دجلة حتى بلاد آشور، واصلماً بعدئذ إلى مثلث الخابور لإجتياز الفرات بسوية كركميش، وواصلماً إلى إبلا أو البحر المتوسط إلى الجنوب، تسمح بإجتياز طوروس للتزود بالمواد الأولية في الأناضول أو أرمينيا، أو بالعكس الإتصال بمدن الفرات الكبرى مثل ماري، ويبدو بوضوح أكثر فأكثر في هذه السنوات الأخيرة أن هذه الطريق تفوقت على طريق الفرات.

لقد ورد بوضوح أن وضع كيش في التبادل الإقتصادي الذي كان يربط مختلف بلاد الشرق الأدنى كان جيداً، مما يدل على أنها لعبت دوراً كبيراً في التبادل وفي نشر الأفكار والمعرفة.

إن جنوب بلاد ما بين النهرين، كما سبق، كان سومرياً بشكل رئيسي. لقد كانت لغة أكثرية السكان في الشمال والجنوب سامية. وهذا ما أوضحته رقم مكتشفة في ماري وإبلا والآن في تل بيدر. وانطلاقاً من كيش، وبالصعود باتجاه الشمال الغربي، يوجد إقليم سامي واسع خصائصه غير محددة حتى الآن. ولكن التشابهات ظاهرة بشكل كبير، فهذه الطريقة وصلت الكتابة المسمارية وكل الثقافة المرتبطة بها إلى سورية الغربية، أي إلى مملكة إبلا.

ونظراً للعدد المتزايد من البعثات الأثرية الموجدة في مناطق من سورية الشمالية، فإنه من المؤكد بأن المكتشفات ستتضاعف فيها في المستقبل القريب، وأكثرها ربما سيكون في تل بيدر. في الواقع إنه - وللمرة الأولى - يعثر على رقم مسمارية في سورية الشمالية الشرقية «مثلث الخابور» ملتقى الطرق التجارية، تعود إلى عصر ما قبل صرجون.

إن تل بيدر الذي نجهل اسمه القديم حتى الآن، لم يلعب بكل تأكيد الدور الأول في نقل الثقافة بين كيش وسورية الساحلية،

وليس هناك ما يدعم مثل هذه الفرضية. وإن ما يمكن استنتاجه مع ذلك هو أن إكتشاف الرقم في هذا المكان يؤكد بشكل كبير أهمية هذه المنطقة عصرئذ، إذاً إنها لم تكن صحراء ثقافية، فالكتابة والممارسات الإدارية التي نعرفها من رقم إبلا وماري وفارا وأبو صلابيخ كانت معروفة في الشمال، وبالتحديد في تل بيدر، وهذا يعني إذن أن هناك «حلقة ناقصة» بين سومر وإبلا.

ومع ذلك علينا أن نبقي حذرين فيما يتعلق بالاستنتاجات التي نستخلصها من أرشيف تل بيدر، ولحسن الحظ فإن بعض العناصر أكيدة فلنستعرضها.

إن رقم بيدر صعبة كونها نصوص إدارية وقوائم شخصية وزراعية وحيوانية، بقر وحمير خصص لها حصص، حيث تذكر فيها تفاصيل حساب دفع صادرة عن إدارة مدنية. وبعض الرقم آلت إلى الإهمال، ومضمونها أصبح بالياً. لكن بعضها كان مؤرخاً، وسنعود إلى قضية التقويم. ويمكن القول منذ الآن بأن التواريخ الوحيدة التي على الوثائق هي تواريخ شهرية، حسابات لشهر أو أقل. وعادة ماتكون مثل هذه الوثائق مؤجلة إلى آخر السنة على سجلات سنوية لتسوية الميزان السنوي لحسابات الإدارة. وإن الرقم الوسيطة تغدو غير مفيدة في نهاية السنة عندما يتم حاصل الحساب، فيمكن عندئذ التخلص منها.

إن هذا هام جداً لأنه يعني وجود ديوان إداري حقيقي حيث يمكن إنتظار إكتشاف رقم سنوية وهي غالباً ماتكون أكثر تفصيلاً وأكثر إعلماً كما يظهر لنا ذلك في وثائق إبلا.

تطرح في مثل هذه الوثائق شؤون بأسلوب إداري وموجز جداً. لا نصادف على خمس وستين ومائة نص صيغ فعلية إلا فيما ندر، فالعلامات النحوية لم تكن واضحة أبداً، حيث لم يكن يسجل سوى اسم الشخص، مركبة الحبوب أو الشيء العائد إليه. وأحياناً يكون اسم الشخص مصحوباً باسم الوظيفة أو المهنة: لبّاد، فاخوري، مزارع، صانع عربات... إلخ ومع هذا، فإن لدينا عناصر كافية للتأكيد بأن اللغة التي استعملها الكتاب كانت سامية ذات شكل أكادي قديم.

وإن أسماء الأشخاص العديدين الواردة في نصوصنا تدعم هذه الفكرة. وفي الواقع، في ذلك العصر كانت الأسماء مشكلة من جمل قصيرة أو صفات نموذج: إن مثله هو ربي، إن هذا الرب سمع صلاتي... إلخ وكل الأسماء القابلة للتوحيد ذات بيان سامي سيذكر (أرشي أخو/أي كانالي أخ)، (سمع أيلوم/أي/لرب

سمع). إن بعض هذه الأسماء معروفة جيداً في مواقع فارا وماري وإبلا، لأنها كانت مألوفة عصرئذ. يمكننا إذن أن نستنتج بأنه كان يوجد في كل بلاد ما بين النهرين وحتى سورية تقليداً خاصاً بأسماء العلم المشتركة على نطاق واسع.

إلى جانب أسماء العلم للأشخاص قدمت النصوص أيضاً عدداً كبيراً وهاماً جداً من أسماء الأمكنة كانت حتى الآن مجهولة تماماً، باستثناء مدينة ناجار، المدينة الهامة التي تقع بالضبط في جهة ما في مثلث الخابور. ويبدو أن سيد ناجار حكم تل بيدر، على الأقل في نحو ٢٤٠٠ ق.م، في عصر المرحلة الثانية من مجموعة السلالة الرسمية القديمة الثالثة، إن أسماء الأمكنة هذه أيضاً سامية وستسمح لنا في المستقبل بالتعرف بشكل أفضل على جغرافية المنطقة، ومازلنا نجهل الأسم القديم لموقع تل بيدر، فلربما كان وارداً بين أسماء الأمكنة المؤكدة في النصوص، ولكن ليس هناك مايسمح لنا بالتأكد من ذلك.

نستنتج في بادئ الأمر تشابهاً كبيراً وعاماً بين كل نصوص هذا العصر، أو ماهية مصدرها. إن التقليد الكتابي، وطريقة تشكيل الرقم وهيئة المساحات المكتوبة هي نفسها في كل مكان. لكن الاختلافات تظهر في التفاصيل، ويكمن الاختلاف الأول والأكثر وضوحاً في الأشياء المحسوبة، فمثلاً عندما يذكر عشرة حمير يكتب في كل مكان الرقم عشرة يتبعه شارة تدل على الحمار. إن هذا الترتيب مقلوب في تل بيدر: يكتب الحمير عشرة.

وهناك خلاف آخر كتابي يقع في ترتيب الأقسام المشكلة لبعض الشارات المعقدة، إن هذه التنوعات يمكن أن تبدوا أهمية لها ولكنها مع ذلك هي شارة تقليد محلي أو في كل حال تقليد مختلف قليلاً عن ديوان إبلا والإدارات السومرية.

وربما كان الأكثر أهمية من هذه التفاصيل هو وجود تقويم جديد، بالنسبة لعصر ما قبل سرجون كان يعرف - حتى الآن - تقويم ساميان، أحدهما مشترك في كل النصوص المعروفة باللغة السامية في كيش وماري وإبلا، وأدخل الديوان بعدئذٍ تقويمياً سامياً آخر أيضاً. ومع ذلك فقد اعتبر (جيلب) وجود تقويم سامي مشترك هو أحد العناصر الأولية لحضارة كيش. إننا بحق أمام تقويم جديد كلياً في تل بيدر، حيث كل أسمائه مؤلفة من عنصر يتبعه اسم رب، وربما تفسيرها كأسماء من نوع شهر عيد رب ما. إن رقم تل بيدر مثل كل الرقم الإدارية عصرئذٍ معلوماتها لم تكن وافرة. إن المهمة تبقى عسيرة طالما كان المفهوم تركيبياً، وأيضاً بسبب غياب الوثائق

الإدارية الأكثر تفصيلاً أو النصوص الأدبية أو المعجمية. ولكن هذا يعني بأنه لا يجب تصغير إكتشاف كهذا، فإكتشاف رقيم واحد من عصر ما قبل صرجون في هذا المكان، هو في حد ذاته إكتشاف كبير. إن تل بيدر الذي أكتشف فيه خمس وستين ومائة وثيقة من عصر السلالة الأولى يقع في المقام الثاني في سورية بعد ابلا وإن يكن بفارق كبير.

إن هذا هو حال الوضع الأثري، ومع ذلك فإن آفاق إكتشاف نصوص أخرى كبير.

إن كل هذه العناصر يمكن أن تعني بأن الوضع لم يكن إلى هذه الدرجة واحداً كما افترضه نموذج حضارة كيش. فلا بد أنه وجدت ممالك مختلفة في سورية الداخلية، بين سومر وساحل البحر المتوسط وإن كان لهذه الوحدات السياسية والثقافية خصائصها هي أيضاً. وإن الثقافة مثل التبادل التجاري والإتصالات السياسية انتشرت عبر تعاقب ممالك استقرت على امتداد المحاور الكبرى للإتصال. ومازلنا نتظر أن تكتشف أكثر من إبلا في شمال سورية، لذا نراهن بشكل كبير على الحفريات المتعددة في شمالي سورية وفي تل بيدر بشكل خاص.

منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET



وزارة الثقافة

المسيرة العامة للآثار والمتاحف

الجمهورية العربية السورية